الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب شعبي

تحت عنوان:

الأبعاد الأنثروبولوجية للحكاية الخرافية بمنطقة سوف

(حكاية لونجا أنموذجا)

إعداد الطالبات: إشراف الدكتور

✍ أسماء الأدغم ✍ خليفة قعيد

✍ مروى بشي

✍ لعمرية خوصه

الإسم واللقب	الجامعة	الصفة
د.مداني علاء	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
د . خلفية قعيد	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
د.عبد القادر بليلة	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 2025/2024

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادي الانسانية وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الشكر لله عز وجل الذي أنار لنا الدرب، وفتح لنا أبواب العلم وأهدني بالصبر والإرادة .

. نتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى خير التنفيذ ، إلى كل من كان سببا في تعليمنا وتوجيهنا ومساعدتنا الأستاذ الفاضل **خليفة قعيد** حيث لم يأل جهدا في إرشادنا وتوجيهنا أثناء عملنا "جزاك الله خيرا ووفقك الله وسدد خطاك" .

وبأصدق المشاعر وبأشد الكلمات الطيبة النابعة من قلب وفَيّ، نقدم شكرنا وامتناننا لمن كانوا سبب في استمرار واستكمال مسيرتنا التعليمية، أستاذة قسم اللغة والأدب العربي لكم أجمل عبارات الشكر والامتنان من قلب فاض بالاحترام والتقدير لكم .

وفي الأخير الشكر والامتنان لكل الذين قدموا لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد .

أسماء، مروى، لعمرية

إهـــــداء

إلى من علمني النجاح والصبر ....

إلى من علمني العطاء بدون انتظار ...

أبي الغالي إلى من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه....

إلى من كان صبرها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي ... أمي العزيزة.

إلى جميع أفراد أسرتي العزيزة والكبيرة الأدغم كل باسمه أينما وجدوا

إلى كل أصدقائي رفقاء دربي من داخل المركز وخارجه، وجميع أساتذتي الكرام الذين أناروا دروبنا بالعلم والمعرفة.

إلى كل من أقتنع بفكرة فيدعوا إليها ويعمل على تحقيقها، لا يبغي بها إلا وجه الله ومنفعة الناس

إليكم أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

أسماء

إهـــــداء

الحمد الله فاق الأنوار وجاعل الليل والنهار ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد المختار الحمد الله الذي وفقني لهذا ولم نكن لنصل اليه لولا فضل الله علينا أما بعد:

من دواعي الفخر والاعتزاز أن أهدي ثمرة جهد هذا العمل إلى من علمني العطاء بدون انتظار ... إلى من علمني أن العلم والأدب يعادلان كنوز الكون إلى أبي الغالي أطال الله في عمره.

إلى نور حياتي ومن جعلت الجنة تحت أقدامها إلى أغلى الحبايب أمي قرة عيني أطال الله في عمرها.

إلى كل اخوتي كبيرهم وصغيرهم، وإلى كل عائلة بشي.

إلى الأصدقاء كل باسمه

إلى كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد.

إلى كل من يذكرهم قلبي ونسيهم قلمي

مروى

إهـداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى الشمعة التي احترقت لتضيء لي دروب الحياة، إلى مصدر الحنان ومنبع الأمان التي تحت قدميها تنال الجنان

أمي الحنونة إلى من كان لي سندا في الحياة إلى من علمني معنى الإرادة والثبات إلى من رسم لي درب النجاح أبي الغالي

إلى من غذاني حبهم طوال عمري، جواهر حياتي ولهم ينبض الحب في قلبي إخوتي وأخواتي زوجي وأبنائي

إلى كل الأصدقاء والأحباب في المشوار الدراسي وإلى

جميع الأهل والأقارب والأحباب من قريب أو من بعيد

لعمرية

مقدمـــــــة

مقدمـــــة

يعـد الأدب الشـعبي أدب السـمر والأحاديـث والنـوادر والطرائـف والخرفـات وكـذلك الأساطير والسير الشعبية ، ومنطقة الشعب بصفة عامة دون تميز طبقي، وقد تميز هذا الأدب بأسلوب مسجوع متين مترابط غير متفكك الأفكار مما أكسبه رونقا، فقد عرفه العرب منذ القدم كتعبير عن الروح الشعب وعقله وطرق حياته ،حيث أغدق هذا الأدب على مختلف الفنون الأدبية الأخرى، وأصبح جزء مهما ،وفعلا اتخذه الشعراء والأدباء والكتاب نمطا في تكوين حياتهم ولغتهم وثقافتهم، ومن بين الأشكال التعبير الشعبي نجد الحكاية إذ أنها تشغل باعتبارها فنا شعبيا مشبعا بالقيم الإنسانية والاجتماعية وتأخذ الحكاية مساحة واسعة في الذاكرة الجماعية لدى شعوب العالم منذ القدم، بحيث ارتبطت بهم ارتباطا وثيقا وهذا لما لها من أهمية بالغة في إمكانية تحقيق رغبات الخروج من عالم المشاكل إلى عالم تحقيق الأحلام، ومن أهم ما يميزها هي الكلمة التي تجعل منها أدبا شفاهيا جماعيا أعطاها ميزة الاستمرارية والتلقائية في التعبير.

ولعل اهتمام من أهم الباحثين والأدباء بهذا الجنس الشعبي يرجع لكونه من أهم أجناسه الأدبية، المتصلة بإشكاليته وقضاياه الجوهرية، ولعل من أهم القضايا التي تستدعي الانتباه في الحكاية الشعبية عموما المرأة، فمنذ أن أشرقت على الأرض حضارة بني الانسان والمرأة تحظى بنصيب من تلك الحضارات على اختلاف الأمكنة والعصور، فقادتنا ولهتنا بالبحث والدراسة إلى علوم مختلفة كالتاريخ والفقه والأدب والاجتماع والقانون والسياسة وعلم النفس.... لكونها تمثل قضية متجددة انها قضية ملحة ومفتوحة، الا أنه ثمة تناقض في موقف مجتمعنا الشعبي نحو المرأة.

ومن هنا يمكننا الحديث عن أهمية الموضوع الذي اخترناه والذي جاء بعنوان " الأبعاد الأنثروبولوجية في الحكاية الخرافية لونجا في وادي سوف أنموذجا " وهو موضوع مهم جدا لعدة أسباب منها:

فهم التنوع الثقافي، تحليل العلاقات الاجتماعية، التفاعل بين الإنسان والبيئة، تفسير الظواهر الاجتماعية، فهم الهوية والانتماء، أدوات التنمية والتخطيط ....

وتكمن أهمية هذه الدراسة في الأبعاد الأنثروبولوجية والجوانب المتعلقة بالإنسان من حيث الثقافة، والمجتمع، السلوك، ولأنها تفتح المجال لعمق الثقافة المحلية، والرموز والهوية الجماعية للسكان، كما أنها تبرز فهم الأدوار الاجتماعية خاصة دور المرأة، وكيف كان ينظر اليها في البيئة التقليدية.

ومن هنا تبرز الدوافع التي أدت إلى اختيارنا لهذا الموضوع وهما دافعان، دافع ذاتي ودافع موضوعي، فالذاتي هو الرغبة في إحياء الموروث الشعبي، أما الدافع الموضوعي هو إطراء الموروث الشعبي للدراسات الأكاديمية، إضافة إلى إطراء المكتبة الجزائرية بهذا الموضوع الدراسي.

تطرح الدراسة الإشكالية التالية: **إلى أي مدى تكشف الحكاية الخرافية في نموذج "حكاية لونجا" عن الأبعاد الأنثروبولوجية لمجتمع الحكاية؟** وماهي الرموز والدلالات التي يمكن أن نكشفها من خلال تحليل هذه الحكايات من منظور أنثروبولوجي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، اتبعنا في دراستنا الخطة التالية وقسمناها إلى مدخل وفصلين وخاتمة وهي كما يلي:

بدأنا أولا بمدخل تناولنا فيه علاقة الحكاية بعامة والخرافية خاصة بالأنثروبولوجي من حيث أن الحكاية الخرافية تعبير فني وابداع سردي انساني تتجلى فيه مختلف جوانب الحياة من سحر وسرد وخيال وذاكرة جمعية وتقاليد وعادات وأعراف وطقوس .....الخ المتعلقة بالمجتمع الحكاية الخرافية. وكيف كانت الأسطورة قبل أن تفقد قداستها وتتحول حكاية خرافية. أما الفصل الأول فقد قسم إلى مبحثين المبحث الأول تناولنا فيه الحكاية الخرافية مفهومها لغة، واصطلاحا ومفهوم الأنثروبولوجيا، أما المبحث الثاني كان بعنوان الحكاية

الخرافية والأبعاد الأنثروبولوجية الدي قسم الى مطلبين، الأول تناولنا فيه البعد الاجتماعي، والبعد الثقافي، أما المطلب الثاني تناولنا فيه البعد الديني والنفسي.

أما الفصل الثاني فقد طبقنا المنهج الانثروبولوجي على الحكاية الشعبية السوفية لونجا واستخراج أهم ما جاء في الحكاية من دلالات ورموز من جميع الأبعاد. وفي الأخير خلصت هده الدراسة بخاتمة احتوت اهم النتائج التي توصلنا اليها.

وقد اقتضت هذه الدراسة أن نستعين بأكثر من منهج، غير أن المنهج الأساسي الذي تبعناه هو المنهج الأنثروبولوجي.

ومن أبرز الصعوبات التي وجهتنا في انجاز هذا البحث، هي قلة المراجع في المنهج المقتضى بالدراسة، وصعوبة تطبيق المنهج الأنثروبولوجي على الحكاية الشعبية، ورغم ذلك لا يمكننا القول إلا أننا حاولنا جاهدين تفادي هذه الصعوبات، وبعون الله استطعنا التغلب على الكثير منها، من خلال الاستفادة من عدة مراجع أهمها:

كتاب مبادئ الأنثروبولوجيا للدكتور أحمد زغب

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر أستاذنا المشرف د. قعيد خليفة وأن نقدم له جزيل الشكر كما نشكره على التوجيهات والنصائح التي قدمها لنا، ولا ننسى الأستاذ بن علي صالح الذي ساعدنا، فله كل الشكر والتقدير على كل النصائح والمراجع التي أعاننا بها.

مدخـــل:

التراث هو ذلك الموروث الثقافي الذي تركه لنا أسلافنا، وهو ثمرة معارفهم الفكرية وتجاربهم الحياتية، فالأفراد والجماعات هم من يصنعون هذا التراث، وكل ما يرتبط به يعود الفضل فيه إلى الذاكرة الجماعية التي تمثل وعاء تلك المعارف والممارسات الثقافية المتنوعة. ومن خلال هذه الذاكرة، يظل تراثنا العربي قائمًا على مجموعة من المعتقدات الشعبية التي تشمل العادات والتقاليد، الأغاني، الرقصات، الفنون التشكيلية، الأساطير، الخرافات، الحكايات الشعبية، الطقوس، السحر، والعديد من الأشكال الثقافية التي ارتبطت بالسلوك الإنساني عبر تاريخ الفكر البشري وحضارات الشعوب المختلفة.

من بين هذه الأشكال الثقافية التي تداخلت مع بعضها البعض، نجد مصطلحي "الأسطورة" و"الخرافة" اللذين شكلا تحديًا في تحديد معانيهما، حيث اختلف العرب في تعريف كل منهما. فعادة ما يُستخدم مصطلح "الأسطورة" للإشارة إلى مجموعة من الخرافات والأباطيل التي تفتقر إلى النظام، أو تكون عبارة عن أحاديث غريبة ذات طابع غير منطقي. ورغم التطورات النقدية الحديثة في مجالات الأنثروبولوجيا، إلا أن العديد من النقاد العرب لم يتمكنوا بعد من تحديد مفهوم دقيق للأسطورة. وفي الواقع، نجد أن الأسطورة تتداخل مع الخرافة في العديد من السياقات، حيث يمكن اعتبار الخرافة جزءًا من الأسطورة، كلاهما يشتركان في تقديم تفسيرات غير علمية للظواهر الطبيعية والوجودية، ما يجعل الفاصل بينهما غير واضح تمامًا.

ومع ذلك، تبقى الأسطورة الشكل الشعبي الأكثر ارتباطًا بالفن والدين والعلم والفلسفة، فهي تمثل مجموعة من الحكم والمفاهيم التي صاغها الإنسان في قالب سردي يتناول موضوعات مثل الخلق والموت والبعث. تشمل الأساطير شخصيات وكائنات خارقة تجمع بين الألوهية والإنسانية والحيوانية، مما يتيح لنا فهم هذه الظواهر الغامضة من خلال رمزية غنية.

ولطالما عاش الإنسان في بيئة مليئة بالألغاز والظواهر التي يصعب عليه فهمها أو تفسيرها، مما دفعه إلى استخدام خياله الواسع لإيجاد تفسير لها. ومن هذا المنطلق، جاءت الأساطير والخرافات كوسيلة لملء الفجوات المعرفية التي واجهها الإنسان في تفسير العالم من حوله. وتُعد الحكايات الخرافية من بين أبرز أشكال هذا الإبداع الرمزي، حيث ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالأساطير وحكايات البطولة، وانتقلت بدورها إلى الأدب الرسمي، مثل القصائد الملحمية والروايات، لتضيف إليها طابعًا من الحيوية والحركة.

ومع مرور الزمن، أصبحت الحكايات الخرافية جزءًا لا يتجزأ من التراث الشعبي في العديد من الأمم، حيث لا تزال حاضرة في ثقافات المجتمعات البدائية المعاصرة. ولم تقتصر هذه الظاهرة على المجتمعات العربية فقط، بل امتدت أيضًا إلى الشعوب الغربية التي صاغت الحكايات الخرافية بأسلوب فني متكامل، ما أضاف إليها عناصر من الخيال والإبداع والتشويق.

في هذا السياق، تبرز الأنثروبولوجيا كأداة بحثية هامة لدراسة الإنسان ككائن اجتماعي يعيش في مجتمع معقد يشتمل على مجموعة من الأنظمة والأنساق الثقافية التي تحدد سلوكياته وتفاعلاته. فالأنثروبولوجيا لا تقتصر على دراسة الإنسان بمعزل عن بيئته الاجتماعية والثقافية، بل تتناول دراسة الإنسان كجزء لا يتجزأ من محيطه الثقافي والاجتماعي. ومن خلال هذا المنهج، تساهم الأنثروبولوجيا في فهم تفاعل الإنسان مع البيئة، وكيفية تأثير هذه البيئة على تطوره البيولوجي، الثقافي والنفسي.[1]

تهتم الأنثروبولوجيا بمختلف جوانب حياة الإنسان، إذ تسعى لفهم المبادئ التي تحكم تطوره البيولوجي والاجتماعي، وتدرس تنوع الثقافات واللغات بين الشعوب. إضافة إلى ذلك، تبحث الأنثروبولوجيا في سلوكيات الإنسان الاجتماعية والثقافية، محاولًا اكتشاف الأسباب التي تؤدي إلى تباين الأنماط الثقافية بين المجتمعات. من خلال هذا المنهج الشامل، تساهم الأنثروبولوجيا في تحليل الفروقات الاجتماعية والثقافية، وتساعد في فهم الروابط التي تجمع بين أفراد المجتمع وأثر هذه الروابط في تشكيل هويتهم الجماعية.

وباختصار، تعد الأنثروبولوجيا علمًا ذا أهمية بالغة في دراسة الإنسان في تفاعله مع بيئته الاجتماعية والثقافية، ويشكل ربطها بين الإنسان وبيئته الثقافية أداة فاعلة لفهم آليات تطور المجتمعات وتنوعها عبر الزمن.[2]

[1] كريمة شعبان، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، مطبوعة بيداغوجية، سنة ثانية اتصال، جامعة الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، 2019، ص 8

[2] كريمة شعبان، مرجع سابق، ص 8

انتشار الحكايات الخرافية في مجتمع واد سوف:

عرفت حياة السكان في مجتمع وادي سوف. وحتى النصف الأول من القرن العشرين – ببساطتها، وغلبة السلوكيات الانسانية عند عموم الناس، والإفراط في الاعتقادات الغيبية ذات الطابع الخرافي والخوف الشديد من عالم الجن والأشباح، والعين الحاسدة والسحرة والمشعوذين، وتكرست هذه المعتقدات خلال الممارسات اليومية، وتعمقت في المجتمع بفعل الحكايات الشعبية الما، التي يلقنها الآباء إلى أبنائهم في ظلام الليل فينامون على القصص الخرافية الموغلة في الخيال، والتي تحكيها الجدة، فتصنع بها عقلية خرافية تؤمن بالأساطير، وتتخيل الأشباح بمجرد حركة الرياح في الليل والنهار، ولاسيما عندما يكون الشخص وحيدا في غوطه، أو مسافرا في أعماق الصحراء، وتلك التخيلات يشعر بها أقرأنه، وينسج حولها قصة محبكة يصدقها الجميع، وتحكى في المنتديات، فيتخذون الاحتياطات اللازمة كلما مروا بالمكان الذي حدثت به القصة المزعومة.[1]

أ) الاعتقاد الواسع بعالم الأشباح والشياطين: وتخيلوها في يقظتهم ومنامهم، وكان عندهم الإيمان الجازم، أنها تتشكل في صور حيوانات أو أجسام آدمية بإقدام حيوانية وتثير القصص والحكايات الرعب الدائم أثناء الليل، وخاصة عند الاقتراب من المقابر أو المناطق الثانية، فيتخيل الأشخاص القوى الغيبية الخرافية التالية:

[1] علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية**، رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2009، ص–ص 364 –365

الغولي: وهو الذكر من الكائنات العملاقة، له رأس مخيف وشعر خشن يشبه الشوك وأظافر ضخمة، ويصدر منه صراخ مرعب، ويسكن الحفر والكهوف، ويأكل الفواكه والحيوانات، ويلتهم الأشخاص، وأنثاه تدعى "الغولية" ولكنها تتصرف بلطافة حتى تتمكن من فريستها.

النيد: وهو الشيخ الذي يثور في مكان الموتى في أعماق الصحراء، وفي كل المواطن التي شهدت وقوع جريمة قتل، ويعتقد أن تلك الأشباح المخيفة تظهر ليلا في أماكنها.

المصورة: وهي من الجن وتخرج في منتصف النهار (وقت القيلولة) ولها أرجل تشبه حوافر الحمار، وشكلها الآخر بشري، وتؤذي كل إنسان يتواجد في الأماكن الخالية وحده. المرجع؟

ب) الاعتقاد الكبير في الحسد والشعوذة: يسود اعتقاد كبير لدى عامة السكان من البسطاء، أن ما يحدث لهم من مصائب سببها الحقيقي هو العين الحاسدة، والقلوب السوداء الحاقدة، التي تتم عن الأعين الحارة، ويشتهر بعضهم بالحسد، وكلما صادفه أحد يتحاشاه ويخاف من ضرره، وربما يتحبب إليه حتى يأمن شره، وهؤلاء تتولى السلطات المحلية محاربتهم ومنعهم من الحضور إلى الأماكن العامة كالأسواق در لخطرهم، ولكنها –من جانب أخر تزرع في النفوس الخرافة، وترعاها بطريقة خفية. والتحصين أنفسهم وعقاراتهم وحيواناتهم من الشرور وخاصة العين، يثبتون بعض الأشياء بجدران المنازل مثل قرون الحيوانات، وصفائح أرجل الحصان الحديدية، وتعليق التمائم المختلفة في الحيوانات الأليفة مثل: تعليق التميمة في عنق العنزة، والخميسة وهي يد صغيرة، تعلق في صدور الأطفال، وتأخذ الأم ابنها إلى الطالب ليقرأ عليه بعض الآيات القرآنية، والتعاويذ والأدعية. المرجع؟

الفصل الأول: علاقة الخرافة بالأنثروبولوجيا

الفصل الأول: علاقة الخرافة بالأنثروبولوجيا

المبحث الأول: مفهوم الحكاية الخرافية والانثروبولوجيا

تُعدّ الخرافة أحد أبرز أشكال التعبير الثقافي التي رافقت الإنسان منذ العصور القديمة، وقد شكّلت وسيلة لتفسير ما استعصى على الفهم من ظواهر طبيعية أو أحداث خارقة للعادة. وعلى الرغم من طابعها التخيلي، فإنها تمثل، بحسب الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي–شتراوس، "نسقًا من الرموز يُعبّر من خلاله المجتمع عن لا وعيه الجمعي". ومن هذا المنطلق، تتجاوز الخرافة حدود التسلية إلى كونها مادة خصبة للتحليل الثقافي والاجتماعي.

يُعنى علم الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة هذه الأشكال الرمزية لفهم ما تكشفه من بنى ذهنية واجتماعية، إذ يرى الباحثون أن الخرافات لا تنشأ في فراغ، بل تعكس القيم والمخاوف والعلاقات السلطوية في المجتمع الذي أنتجها. كما يشير الأنثروبولوجي البريطاني إدوارد تايلور إلى أن "المعتقدات البدائية، ومنها الخرافات، تمثل مراحل أولى في تطور الفكر الإنساني"، وهو ما يفتح المجال أمام قراءتها بوصفها وثائق ثقافية تعكس الوعي التاريخي للجماعة.

وبناءً على ذلك، فإن دراسة الخرافة في سياقها الثقافي لا تسهم فقط في فهم البنية السردية أو الرمزية للنصوص الشعبية، بل تساعد أيضًا على تفكيك الأنماط الذهنية والأنساق الاجتماعية التي تُعيد إنتاج ذاتها عبر الحكاية. وهنا يظهر التلاقي بين الخرافة

والأنثروبولوجيا، حيث تُصبح الخرافة مادة تحليلية تسهم في الكشف عن طبيعة الإنسان ومجتمعه.

وفي هذا الإطار، سنتناول في المطلبين التاليين مفهوم كلّ من الخرافة والأنثروبولوجيا، تمهيدًا لفهم أعمق للعلاقة القائمة بينهما.

المطلب الأول: تعريف الحكاية الخرافية لغة واصطلاحا

تُعدّ الخرافة من أقدم الأشكال السردية التي أنتجها الإنسان في سعيه لفهم العالم المحيط به، وهي تمثل نمطًا من الحكايات الشعبية التي تتضمن عناصر خارقة أو غير عقلانية، وغالبًا ما تكون متوارثة عبر الأجيال. وتنبع أهميتها من كونها انعكاسًا للبيئة الثقافية التي نشأت فيها، فهي لا تعبّر فقط عن الخيال الجمعي، بل أيضًا عن البنية النفسية والاجتماعية للمجتمع.

أولا: لغة

الحكاية من الفعل "حكى"، ففي لسان العرب الحكاية كقولك حكيت فلانا وحاكيته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية".[1] وهي من قولك " حكى الشيء حكاية: أتى بمثله وشابهه".[2] والحكاية " ما يُحكى ويقص، وقع أو تخيل".[3] وقد ورد

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق على عبد الله الكبير ومجموعة من الأساتذة، دار المعارف القاهرة، 1919، مادة حكى، ص 954

[2] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، اشراف شوقي ضيف مكتبة الشروق الولية، مصر، 4، 2004، مادة حكى، ص 220

[3] المرجع نفسه، ص ن.

في مختار الصحاح: "حكى عنه الكلام يحكي حكاية، وحكا يحكو لغة، وحكى فعله وحاكاه إذا فعل مثل فعله، والمحاكاة المشاكلة".[1]

أما مصطلح الخرافة كما جاء في لسان العرب أن أصلها من الفعل (خرف)" حرف الحرف بالتحريك: فساد العقل من الكبر، وقد خرف الرجل، بالكسر، يحرف حرفا، فهو خرف، فسد عقله من الكبير، والأنثى خرفة وأخرفه الهرم".[2] ويذهب الباحثون في مجمع اللغة العربية في الاتجاه نفسه، ف خرف خرفا: فسد عقله من الكبر، فهو خرف وهي خرفة.[3] والخرافة: ما يجتني من الفواكه في فصل الخريف، أو الحديث المستملح من الكذب، وقالوا حديث خرافة، وأورد ابن منظور في اللسان أن خرافة من بني عذرة اختطفه الجن، وحين رجوعه إلى قومه راح يحدثهم بما رأى من عجيب الأمور فكذبوه، فجرى على ألسن الناس. وروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم –أنه قال: " وخرافة حق"، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قال لها النبي صلى الله عليه وسلم حدثيني، قالت: ما أحدثك حديث خرافة، والراء فيه مخففة ولا تدخله الألف واللام لأنه معرفة، إلا أنه يريد به الخرافات الموضوعية من حديث الليل أجزوه على كل ما يكذبونه من الأحاديث.[4]

[1] الرازي، **مختار الصحاح**، أعده للنشر محمد ثامر دار مكتبة الهلال، بيروت، دط، دت، ص 106

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة حرف ص 1138

[3] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مادة حرف، ص 258

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، من 1140.

من خَرَف، كنصر وفرح وكرم، فهو خَرِفٌ، ككتف: فَسَدَ عَقْلُه، وكفرح: أولع بأكل الخرفة، قيل رجل من عُذْرَة اسْتَهْوَتهُ الجن، فكان يُحدِّث بما رأى فَكَذَّبُوهُ وقالوا: "حديث خرافة، أو هي حديث مُسْتَمْلَحٌ كَذِبٌ.[1]

ثانيا: اصطلاحا

يعرفها الدكتور عيسوي عبد الرحمن: هي تلك المعتقدات التي برهنت أنها على خلاف مع الحقائق الموضوعية، والتي يحتمل أن يشارك في الاعتقاد بها عدد كبير من أبناء المجتمع، والتي تتضمن قضايا نصف ظواهر تسمح بنسبة بعض الظواهر إلى أسباب فوق طبيعية، مثل القضاء والقدر، أو الحظ أو الشيطان».[2]

وتعرف الخرافة أيضا: «هي الأفكار والممارسات والعادات التي لا تستند إلى أي تبرير عقلي ولا تخضع إلى أي مفهوم علمي، سواء من حيث النظرية أو التطبيق».[3]

إذ يعرفها الدكتور عبد الحميد بورايو بقوله: "الحكاية الخرافية إبداع جمالي ذو سمات محددة، وقد عرفته شعوب العالم منذ العصور القديمة" فهي شكل من أشكال القصص الشعبي المتداول بين الطبقات الشعبية المتوارث عبر أجياله الأولى لها خصائص مميزة عن باقي الفنون النثرية للأدب الشعبي. كما يعرفها الأستاذ صالح بن حمادي بأنها تعبر عن جانب من أحاديث السمر الليلي فيقول: هي قصص وحكايات تعودت النساء في سائر أنحاء العالم

[1] الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، الجزء الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سنة 1979م، ص 634

[2] عيسوي عبد الرحمن، **سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي**، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1983م، ص 11.

[3] Bronislaw Malinawski magic, science and Religion, Glenpress, linos, 1948, p.05

أن يحكينها للأطفال في السمر أثناء الليل". وقد يرويها غير النساء من الرجال والشيوخ في تجمعات الأسرة أو تجمعات أخرى خارج البيت، تروى خلالها حكايات الأبطال الخرافيين المنتشرة في مجتمع معين.[1]

وترتبط الخرافة بتفسيرات ذاتية للفرد لبعض المواقف لما لها من نزعة ذاتية عندما لا يجد أسلوبا آخر أفضل من الخرافة لتثبيت ذلك فيؤكل أمرها إلى الجن والشياطين وأمور الغيب.[2]

كما عبر روبرت إيه سيجال في كتابه "الخرافة" أن الخرافة عبارة عن قصة لها أدوار وحبكة، لأن ما يدور في خاطري كل واحد منا قصص الأبطال والأديان والآلهة خاصة في المجتمع اليوناني والروماني، كما يعتبرها أيضا عبارة عن مذهب وعقيدة.[3]

ويعرفها سعيدي محمد بقوله "الحكاية الخرافية في الأصل هي تجربة وقعت لبطل، وبعد سلسلة من المغامرات والمخاطرات تلعب فيها الخوارق دورا بارزا تترجم هذا الدور من خلال حركتي الجن والعفاريت والغول والشيطان والمغارات والوديان والحيوان المفترس منه والأليف الصديق المساعد للبطل والوحش المعاكس للبطل والخاتم السحري المحول الجنة إلى جحيم والجحيم إلى جنة، والطائر الذي يحلق بالبطل إلى عالم مجهول، يقطع به مسافات طويلة في برهة من الزمن....[4] وهذا ما يجعل من ارتباط الحكاية الخرافية بالحيوان ارتباطا وثيقا، فهي عبارة

---

[1] عبد الحميد بورايو، **القصص الشعبي في منطقة بسكرة** –دراسة ميدانية –المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 128.

[2] فريحات رانية، **الخرافة والشعوذة بين الإسلام والمجتمع**، مقال منشور مجلة هدى الإسلام، مج: 48، الع 04، سنة 2004، ص 107

[3] روبرت إيه سيجال، **الخرافة**، تر: محمد سعيد طنطاوي، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 14

[4] سعيدي محمد، **الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 57.

عن تتابع لسلسلة من أحداث مصورة الصراع قائم بين بطل الخرافة ومجموعة من الشخصيات الشريرة كالغول والعفاريت، وشخصيات أخرى مساعدة له تهيه أدوات سحرية تعينه في التغلب على الأشرار والوصول إلى مبتغاه.

وتذهب ليلى روزالين قريش إلى أن الحكاية الخرافية هي "قصة اخترعها الخيال الشعبي وأضاف لها جانبا خرافيا للتعبير عن عقيدة خاصة يؤمن بها الناس، أو فكرة معينة تتحمس لها الجماهير". إذا فهي عملية قص تلعب فيها الخوارق والخيال دورا مهما تنبع من كل أمة بشكل تراه وتتصوره وتحافظ عليه كما هو، وقد تضيف إليه، لكن مع الحفاظ على البنية الأساسية للحكاية، كما أن أسلوبها المشوق يدفعنا ولو لم نشأ أن تتحرك في عالمها المجهول، والذي رقا بنا إلى اللاواقع حيث نجد أحلامنا تتحقق. وتذهب الدكتورة نبيلة ابراهيم إلى أن "الحكاية الخرافية البدائية تكونت في الأصل من أخبار مفردة تبعث من حياة الشعوب البدائية، ومن تصوراتهم ومعتقداتهم، ثم تطورت هذه الأخبار واتخذت شكلا فنيا على يد القاص الشعبي".[1]

وكخلاصة لما سبق، يمكن القول بأن الحكاية الخرافية نوع من أنواع القصص الشعبي، ضارب في أعماق التاريخ البشري مبني أساسا على كل ما هو عجيب ويثير الدهشة في النفوس، يحكي تجربة وقعت لبطل تلعب فيه الخوارق والكائنات الغيبية دورا مهما في تركيبها

[1] نبيلة إبراهيم، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، دل، دت، ص 56. انظر أشكال التعبير في الأدب الشعبي – د. نبيلة ابراهيم – 1974م : سرمد حاتم شكر : Free Download, Borrow, and Streaming : Internet Archive

وبنائها، ينتقل فيها البطل من عالم واقعي إلى آخر مجهول مستعينا بأدوات سحرية تعترضه حيوانات متوحشة تقف عائقا أمام تحقيق هدفه، يبحث فيها البطل عن شيء مفقود.

المطلب الثاني: تعريف الأنثروبولوجيا

تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة الانسان ككائن اجتماعي يحيا في مجتمع تسوده مجموعة من النظم والأنساق تذوب في ثقافة أو ثقافات معينة، فالأنثروبولوجيا لا تدرس الانسان بمعزل عن بيئته إنما تدرسه كجزء لا يتجزأ من محيطه بكل ما يحوي من جوانب بيولوجية، جسدية نفسية، ثقافية واجتماعية.

تتناول الأنثروبولوجيا موضوعات مختلفة ومتداخلة مع موضوعات العلوم الأخرى، إلا أنها ذات علاقة وطيدة بحياة الانسان، حيث تبحث الأنثروبولوجيا في المبادئ التي تحكم تطور الانسان فيزيقيا وثقافيا، كما تبحث في التنوع الثقافي واللغوي عند الانسان، وتحاول أيضا معرفة جوانب السلوك الاجتماعي والثقافي... وغير ذلك كثير.

تعرف الأنثروبولوجيا على أنها: كلمة الأنثروبولوجيا مكونة من مقطعين الأول هو Anthropo أي الإنسان، والثاني هو Logy إلى العلم أو الدراسة. ومعنى ذلك أن ترجمة اسم هذا العلم هو "علم الإنسان" أو "دراسة الإنسان".

والحقيقة أن ترجمة اسم العلم الأنثروبولوجي إلى اللغة العربية أثبتت عدم جدواها واتضح أنه أمر غير علمي، لأنه لا يقدم تسمية كاشفة دالة. فهناك علوم أخرى كثيرة تدرس الإنسان، كالتاريخ وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والبيولوجيا الإنسانية. الخ كل تلك وغيرها

علوم تدرس الإنسان. لهذا السبب العملي أثر علماء الأنثروبولوجيا العرب الإبقاء على تسمية العلم كما هي في لغتها الأصلية، دون ترجمتها. هذا من حيث التسمية.[1]

وعلم الأنثروبولوجيا علم يهتم بوصف الخصائص الإنسانية، والبيولوجية والثقافية للبشر عبر الزمان والمكان، وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا، ودراسة وبحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته، ويحلل ويدرس الصفات البيولوجية والثقافية المحلية، كأنساق مترابطة ومتغايرة، من خلال مقاييس ومناهج متطورة، لربط وتفسير نتائج هذه الدراسات في إطار نظريات التطور، أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر.[2]

ويطلق على علم الأنثروبولوجيا بمسميات أخرى، منها:

1. علم الإناس، العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية القادر على صنع الثقافة وهوم ما يميزه عن

2. غيره من جهة أخرى.

3. علم الجماعات البشرية وسلوكها وإنتاجها.

4. علم الحضارات والمجتمعات البشرية.[3]

---

[1] محمد الجوهري وآخرون، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج**، دار المعرفة الاجتماعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2004، ص 5

[2] بدرية بنت جار الله الشمري، **موقف علماء الانثروبولوجيا من الإسلام**، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المينا، مصر، دع، دس، ص 2145

[3] أحمد إبراهيم خضر، **علم الأنثروبولوجيا ماهيته والانتقادات الموجهة إليه**، شبكة الألوكة http://www.alukah.net/web/khedr

* الإثنولوجيا الوصفية، الإثنولوجيا، الأنثروبولوجيا: غموض في العبارات، سواء في الآداب المتخصصة أو في الكتابات الشعبية، إن في ذلك ما يضلل القارئ لنحاول إذا باختصار أن نضع فيها شيئاً من الانتظام كانت الإثنولوجيا الوصفية (إثنوغرافيا) تشير أولاً (نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى وصف عادات وتقاليد الشعوب التي توصف بـ «البدائية والإثنولوجيا هي المعارف الموسوعية التي يمكن أن تستخلص من ذلك. وعلى الجملة، بدت الإثنولوجيا بمثابة فرع من علم الاجتماع المخصص الدراسة المجتمعات البدائية». في تلك الفترة كانت كلمة أنثروبولوجيا» باختصار، مخصصة لدراسة الإنسان في كل مظاهره الجسدية والبيولوجية. أما الآن، وفي الولايات المتحدة الأميركية، فحين نقول أنثربولوجيا anthropology (بلا زيادة) نفهم منها في أغلب الأحيان دراسة التطور البيولوجي في الكائنات البشرية وتطورهم الثقافي طيلة فترة ما قبل التاريخ. ثمة أقسام ما زالت تجمع إلى اليوم الأنثروبولوجيا الطبيعية مع علم الآثار مع الأنثروبولوجيا الثقافية.[1]

الأنثروبولوجيا بوصفها علم الإنسان، فهي تجمع الأنثروبولوجيا الطبيعية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. وهذه الأخيرة بترادفها مع الإثنولوجيا فهي تهتم بكل الجماعات الإنسانية أياً تكن مميزاتها، وفي إمكانها أن تجعل موضوع دراستها كل الظواهر الاجتماعية التي تستحق تفسيراً من خلال العوامل الثقافية.[2]

[1] مارك أوجيه، جان بول كولاين، **الانثروبولوجيا**، ترجمة جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2008، ص 13

[2] المرجع نفسه، ص 15

كما تعرف الأنثروبولوجيا أيضا بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة... ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكا محددا، وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل ... ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان علما متطورا يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله. أي الدراسة المتكاملة للإنسان بما يحويه من جوانب سيكولوجية وبيولوجية وفيسيولوجية وثقافية واجتماعية.[1]

يقول محمد الجوهري في هذا الإطار: "أن الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان وأعماله شمولا على الإطلاق، هناك دائل وشواهد عديدة على هذا الشمول فالأنثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها من ناحية على الإنسان كعضو في المملكة الحيوانية، وعلى سلوك الإنسان كعضو في مجتمع، من ناحية أخرى".[2]

يقول BOAS بواس: "تدرس الانثروبولوجيا الإنسان ككائن اجتماعي ويشمل موضوع دراستها جميع ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية، دون تحديد زمني أو مكاني".

[1] حسين عبد الحميد احمد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 3.

[2] محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**، دار المعرفة القاهرة، 2007، ص 18

ويقول كروبر Kroeber: "الانثروبولوجيا في علم دراسة جماعات الناس وسلوكهم وانتاجهم وهي أساسا علم خاص بدراسة التاريخ الطبيعي لمجموع أوجه النشاط البشري التي أصبحت منجزاتها الراقية في المجتمعات المتمدنة منذ زمن ميدانا للعلوم الإنسانية، هذا على الرغم من أن الهدف والمنهج الأنثروبولوجي طبيعي، على تطبيقه على المادة البشرية أو ما دون البشرية.

ويعرفها لينتون Linton وهيرسكوفيتش Herskovits أنها الدراسة الإنسان وأعماله، وهكذا تهدف الأنثروبولوجيا إلى فهم الإنسان من خلال دراسة عدة ميادين علمية قد تكون مستقلة ولكنها متصلة بعضها البعض أيضا يجمعها علم واحد.[1]

أما في العالم العربي، فالأمر لا يختلف كثيرا عن الدول الأوروبية، بل يتجاوزه إلى التفنن في خلق مصطلحات جديدة، فبالعودة إلى لفظة "الأنثروبولوجيا" وبحث ما يقابلها في اللغة العربية نجد أنها ترجمت إلى النياسة والإناسة والناسوت تارة بدون وضع فيصل بينهم، وتارة أخرى بالتفريق بينهم.

النياسة: وهي ترجمة لكلمة إثنولوجيا، واعتمدت كلمة النياسة لتحاشي كلمة البدائية وتوظف للدلالة على دراسة المجتمعات ما قبل الكتابة، تحتم كحقل معرفي حسب "مارسيل غربول" بنشاطات الشعوب في كل جوانبها وتستعمل بهذه الدلالات في فرنسا خاصة.

[1] ايكه هولترانكس، **قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور**، ترجمة: الجوهري حسن الشامي ط1، دار المعارف، مصر 1972، ص 50

الإناسة: كلمة تستعمل بنفس دلالة النياسة إلا أنها أحيانا توظف للدلالة على العلم بالحسد وفروقاته بين بني البشر، الإناسة الجسدية لتختص كلمة النياسة في بعض الدراسات يعلم الأعراف.

والناسوت: هي تحمل معنى من معاني كلمة "الاثنوغرافيا" وتعني قوم أوناس أو إثنية ... إلخ وتعني وصف، أي أن الكلمة تعني في تركيبها وصف النَّياسة أي وصف جماعة، نظام زواج، نظام تربوي عبادة، وتدل على اهتمام الباحث تحديدا بمرحلة جمع المعلومات ووصفها من العيات في البحوث الميدانية والمعاينة المباشرة، وهو ما يطلق عليه في الثقافة الإنجليزية" فيلدوورك" " النياسة البنيانية".[1]

المبحث الثاني: الحكاية الخرافية والابعاد الأنثروبولوجية

تُعدّ الحكاية الخرافية من الأشكال السردية العريقة التي ارتبطت بالثقافات الشفوية، حيث نشأت في سياقات اجتماعية محددة، وعبّرت عن رؤى الجماعات البشرية للعالم

[1] سهام بودروعة، **محاضرات في التحليل الأدبي الأنثروبولوجي**، مطبوعة بيداغوجية، موجهة لطلبة سنة ثانية ماستر، دراسات أدبية، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2019/2018، ص 14

والوجود والآخر. فهي لا تُختزل في بعدها التخييلي أو الغرائبي فحسب، بل تتجاوز ذلك لتكون حاملاً رمزياً لمنظومة من القيم والمعتقدات والتمثلات الجماعية. ومن هذا المنظور، تُمثّل الحكاية الخرافية مادة خصبة للتحليل الأنثروبولوجي، باعتبارها خطابًا ثقافيًا مشبعًا بالرموز التي تُجسّد البنية الذهنية والأنماط السلوكية للمجتمعات التقليدية.

إنّ الطابع الشفوي والوظيفة التربوية والتطهيرية للحكاية الخرافية يجعل منها مجالًا حيويًا لرصد التفاعلات بين الموروث الثقافي والخيال الشعبي، كما تكشف عن دور الخرافة في صوغ التصورات الجماعية حول مفاهيم مركزية كالخوف، السلطة، الهوية، والمقدّس. وبهذا، فإن مقاربة الحكاية الخرافية من زاوية أنثروبولوجية تتيح فهمًا أعمق لديناميات الثقافة، وآليات إنتاج المعنى داخل المجتمعات، خصوصًا حين تُقرأ بوصفها نصًا ثقافيًا مشبعًا بالدلالات الرمزية.

وعليه، يروم هذا الفصل مقاربة الحكاية الخرافية في ضوء أدوات التحليل الأنثروبولوجي، من أجل استجلاء أبعادها الرمزية، وتفكيك تمثلاتها الثقافية، ورصد امتداداتها في الوعي الجمعي، مع التوقف عند النماذج الحكائية التي شكّلت جزءًا من التراث الشفوي للإنسان في علاقته بالعالم والوجود.

المطلب الأول: البعد الاجتماعي والثقافي

أولا: البعد الاجتماعي

الإنسانُ إذا فَقَدَ الأمل واستحوذ عليه الإحباط وشَعَرَ بالخوف، فإنَّه حينئذ يَنْشُدُ – بتطلعٍ وإلحاحٍ–المخرج السريع من تلك السوداويَّة التي وُضِعَ فيها، فينشد له المخرج من أيّ بابٍ يُشَارُ إليه ويقال له إنَّه هو الأمل والخلاص له مما هو فيه، ولو كان ذلك المخرج في ممارسات خرافيَّة أو كان أمرًا غاية في السَّخافة عند العقلاء من النَّاس.[1]

وتركت العادات والتقاليد القديمة آثارا واضحة في تشكيل متن الحكاية الخرافية فالتهام الغول والحيوانات الوحشية لحم الإنسان المقدم كقربان ترجع إلى عادة الشعوب المتوحشة في أكل لحوم البشر، واختطاف الأبطال للفتيات في معظم الحكايات، تعود إلى تقاليد الأعراس في العصور السابقة حيث يتوجب على العريس اختطاف عروسه، أو تكليفه بمهام شاقة يصعب عليه أداؤها حتى يستطيع الظفر بها، وتقليد معاقبة الأطفال المأخوذة من قانون العقوبات الحقيقي وغيرها.

وإذا كانت الحكاية الخرافية قد استمدت موضوعاتها من مجالات الحياة الروحية على مر العصور واختلاف الأزمنة، فإنها لم تكتف بطرحها في صورتها الأولية التي وجدت عليها أول ما وجدت، وإنما حاولت وضعها ضمن قوالب خاصة وقوانين شكلية محددة، ساعدتها على الصمود في وجه المتغيرات الحضارية والفكرية التي أصابت البنى التحتية للمجتمعات.[2]

[1] عائض بن سعد الدوسري، **الهَشَاشَةُ النَّفْسِيَّة وصُنَّاع الخُرَافَة**، https://atharah.net/psychological-fragility-and-myth-makers/، 2024/04/25، 18:00

[2] سعيدي سامية، **الحكاية الخرافية في ضل المنهج البنيوي**، أطروحة دكتوراه، جامعة أم بواقي، 2019، ص 74

حين تنكص المجتمعات إلى بعض مظاهر التفكير الخرافي (قراءة الطالع، الأرواح والأشباح، الأطباق الطائرة، الذين هبطوا من السماء، الجلاء البصري، الحاسة السادسة ... إلخ) فإنما تفعل ذلك لعجز اجتماعي لا لعجز معرفي أو فكري. يتمثل هذا العجز الاجتماعي في عدم القدرة على التحكم الواعي في مسار المجتمع، وفي القوى التي تسيطر عليه.[1]

إن مظاهر الخرافة في مجتمع ما تتحدد بصورة أساسية بمستوى التقدم الحضاري بمفهومه الواسع ثقافياً واقتصادياً وعلمياً، وهي بذلك تعبير سلبي عن مقدار هذا الرقي. وواضح أن تغلغل الخرافة سواء اعتقاداً أم ممارسة يسير باتجاه معاكس للمسلم الطبقي، بحيث نجد أن الطبقات الدنيا الفقيرة والمحرومة هي الأكثر لجواء وإيماناً بالخرافة، باعتبارها إحدى الوسائل التي تساعدها على تخفيف آلامها، وتثير في خيالها آمالاً وإن كانت وهمية كاذبة تساعدها على انتظار المستقبل الذي سيحمل الخلاص يوماً ما.

يضاف إلى ذلك أن فرص التعليم المتاحة لأبناء هذه الطبقات أقل بكثير مما يمكنها من أن تتخلص من أفكارها الخرافية لتحل محلها أفكاراً أكثر علمية وعقلانية حسب ما يسمح به مستوى العصر، كما هو الحال بالنسبة الطبقات الأعلى، ومن ناحية أخرى فإن فقر الطبقات الدنيا يجعلها في كثير من الأحيان عاجزة عن اتباع الوسائل العصرية في حل أكثر مشاكلها وخاصة تلك الأكثر التصاقاً بنشاطاتها المعيشية مثل الأمراض والمشاكل الاجتماعية كالزواج والإنجاب وكذلك المحاصيل والحيوانات، وكون أبناء الطبقات الدنيا في أسفل السلم الاجتماعي يعني بالضرورة كونها أكثر الطبقات معاناة الكبت والحرمان

[1] عادل مصطفى، **الحنين إلى الخرافة**، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2018، ص 56

الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وخاصة في المجتمعات القديمة المتراصة. الأمر الذي يدفع هذه الطبقات، ويحكم جهلها وانعدام الإمكانات لديها، إلى القبول بالحلول الخرافية كسبيل المواجهة الواقع والاستغراق في الأوهام والأحلام الخرافية التي تحمل في ثناياها الثروة والجاء والصحة والسعادة الدائمة.

ومنذ القدم ارتبطت الخرافة وتداخلت مع الأديان لدى مختلف الشعوب، وذلك على اعتبار أن كلا من الخرافة والدين تتمثل فيها محاولة تفسير ظواهر الكون المختلفة التي لم يكن الإنسان قد بلغ بعد من المعرفة العلمية ما يمكنه من تفسيرها، ومما ساعد على ذلك أن كلا من الخرافة والدين لا يستندان بطبيعتها إلى التعليل العقلي المطلق ولا يخضعان للتجربة العلمية، كما أن ربط الخرافة بالدين سواء ربطاً أصيلا أو افتراضياً مع الزمن يكسبها قوة ويدفع الجماهير الجاهة الى قبولها وتصديقها، مما يتيح لمحترفي الشعوذة في المجتمع فرصة أكبر لاكتساب مكانة أكبر على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي وأحياناً السياسي.[1]

وقد تركت العادات والتقاليد القديمة آثارا واضحة في تشكيل متن الحكاية الخرافية فالتهام الغول والحيوانات الوحشية لحم الإنسان المقدم كقربان ترجع إلى عادة الشعوب المتوحشة في أكل لحوم البشر، واختطاف الأبطال للفتيات في معظم الحكايات، تعود إلى تقاليد الأعراس في العصور السابقة حيث يتوجب على العريس اختطاف عروسه، أو تكليفه

[1] إبراهيم بدران، سلوى الخماش، **دراسات في العقلية العربية الخرافة**، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، ط 3، 1988، ص – ص، 14–15

بمهام شاقة يصعب عليه أداؤها حتى يستطيع الظفر بها، وتقليد معاقبة الأطفال المأخوذة من قانون العقوبات الحقيقي وغيرها.

وإذا كانت الحكاية الخرافية قد استمدت موضوعاتها من مجالات الحياة الروحية على مر العصور واختلاف الأزمنة، فإنها لم تكتف بطرحها في صورتها الأولية التي وجدت عليها أول ما وجدت، وإنما حاولت وضعها ضمن قوالب خاصة وقوانين شكلية محددة، ساعدتها على الصمود في وجه المتغيرات الحضارية والفكرية التي أصابت البنى التحتية للمجتمعات.[1]

والخرافة تأتي كآمالٍ عريضةٍ ووعودٍ مغريةٍ في اللحظات الحرجة التي تتحطم فيها النفوس، وتفقد فيها أدنى بصيص للأمل الذي تحيا به في حياتها الطبيعيَّة، ومن دونه تكون الحياة شقاء وحسرة ومرارة، فالخرافةُ إغراءٌ يأتي في لحظةٍ حاسمةٍ فترسم الأمل في أفق ذلك الذي لم يعد لديه ما يخسره، ذلك الذي تحطَّمت حياته ويأس من السبل التي جربها وطرقها وتخبط فيها من قبل، ورأى حينذاك نهايته قد حانت، وإذا به يرى أنَّ هناك أملاً قد يخرجه من عالمه المظلم ومن رعبه وخوفه المحيط به، وكما يقال كارلو مارتيني: "الأمل يضع نهايةً للنهاية".

إنَّ أصحاب الخضوع للخرافة والأوهام بسهولة هم عادة طائفة من أصحاب المعاناة، أصحاب العلل والإخفاقات والفشل في تجارب الحياة، وأصحاب الاصطدام المتكرر بالذات

[1] سعيدي سامية، مرجع سابق، ص 56

أو بالآخرين؛ لأسبابهم الذاتيَّة السلبيَّة أو بسبب الوسط السلبي الذي عاشوا فيه، والعلاقات بأنواعها أحيانًا تؤدي إلى نتائج كارثيَّة ومؤلمة لصنفٍ من النَّاس، وكما يقول إد بولكلي: "جميع العلاقات الإنسانية تؤدي حتمًا إلى خيبة الأمل والألم".[1]

وتتناول الحكاية الخرافية غالبا واقعا تهدر فيه النظم التربوية والاجتماعية، فتحاول معالجته بإظهار سلبياته والتحذير منها بطريقة غير مباشرة، فانهزام قوى الشر ما هو إلا نقد ورفض لتلك النظم، فهي تؤدي دورا هاما في التعبير عن الجوانب غير السوية في المجتمع فهي بهذا تعمل على خلق التوازن الاجتماعي فيعبر من خلالها عن رغبة ملحة في تحقيق عالم يرتاح إليه ويحبه لانطوائه على العدالة والحب والتعاون والتسامح والتكافل بين أفراد الأسرة الواحدة، وبين المجتمعات. وفي مدونة البحث عديد الحكايات التي ارتوت بمثل هذه القيم.[2]

ومما سبق نستخلص أن لجوء الإنسان إلى الخرافة غالبًا يحدث عندما يفقد الأمل ويغمره الإحباط والخوف، فيبحث عن مخرج، حتى لو كان وهميًا، وقد لعبت العادات والتقاليد القديمة دورًا مهمًا في تشكيل مضامين الحكايات الخرافية، مستمدةً عناصرها من ممارسات مثل أكل لحوم البشر واختطاف العرائس. وتشير الدراسة إلى أن المجتمعات تلجأ الخرافة عند عجزها عن السيطرة على أوضاعها الاجتماعية، لا لقصور معرفي. كما أن انتشار الخرافة مرتبط بانخفاض مستوى التقدم الحضاري والتعليم، إذ تكثر بين الطبقات الفقيرة

[1] عائض بن سعد الدوسري، مرجع سابق.

[2] محمد بوذينة، **الحكاية الخرافية في منطقة وادي سوف مقاربة سيميائية**، مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة، 2014، ص 39

المحرومة. وتُبرز الخرافة أحلامًا زائفة تخفف معاناة هذه الطبقات وتعوضها عن الحرمان. وقد تطورت الحكاية الخرافية ضمن قوالب تحافظ على بقائها رغم التحولات الاجتماعية وساهمت هذه الحكاية في تلاحم العائلة والمجتمع عبر جلسات السمر حول الراوي، فكانت وسيلة تواصل اجتماعي مهم. أخيرًا، تعتبر الخرافة أداة لنقد النظم الاجتماعية المختلة، وتعبر عن تطلعات نحو العدالة والتكافل.

ثانيا: البعد الثقافي

مارست الشعوب البشرية منذ القديم فن القص في الحكاية الخرافية، إذ هي صورة ناطقة تعبر عن كيان المجتمع، وذاكرة ترصد تفاصيله الثقافية، وتؤرخ لعاداته وقيمه وأعرافه، إضافة إلى دورها الأول والمتمثل في التفاف أفراد العائلة حول الجدة أو الجد، واجتماع أفراد الحي حول الراوي ومعنى هذا أن الحكاية الخرافية ليست ثرثرة عجائز لا منطق لها، ولا هي اختراع صرف وإنما هي ملك للشعب ونتاج قواه الشاعرية.

هذا النتاج الجمعي جزء لا يتجزأ من النسيج الثقافي العام، وهو تعبير أصيل عما حققه الفرد الشعبي المبدع من رقي فكري تختلف مظاهره من مجتمع إلى آخر، على الرغم مما قد تبديه المواد الشعبية من تشابه ينبع من رؤية إنسانية تعبر عن حالات نفسية واجتماعية وثقافية تشترك فيها كل الشعوب بصورة من الصور.

إن الحكاية الخرافية أكثر ارتباطا بالإمتاع والتسلية لدى المثقفين والعوام، ذلك أنها جمعت بين الجد والهزل، وبين العالم الواقع المعلوم والعالم السحري المجهول، ما جعلها

تحمل فكرة أخلاقية في قالب ترفيهي يسعى إلى المتعة والترويح عن النفس بفعل طابعها الهزلي المفعم بالتشويق والإثارة والخوارق، وبذلك تصل الحكاية الخرافية إلى الكشف عن إحساس شعبي متفائل تختفي معه النغمة المأساوية والإحساس الذاتي 3.

وتضمن الحكاية الخرافية تواصلا دائما بين أفرادها بحيث يصبح السمر والاستماع إليها عادة من عادات العائلة فكانت الحكاية عنوانا للتلاحم والتقارب وجلوس أفراد العائلة ملتفين حول الجد وهو يروي ويحكي ما احتفظت به ذاكرته

للخرافة جاذبية هائلة، ومهما تقدم العلم فسوف تظل الخرافة تحتل أعز الأمكنة من قلوب البشر وأعمق الأغوار من أنفسهم، ذلك أنها هي الأصل وهي العلم الأقدم، وهي التي قدمت للإنسان الوعد والسلوى يوم كان مُلقَى هَمَلاً في عالم موحش ملغز خطر. والوعد، حتى لو كان كاذبًا، ليس بالشيء الهين. فهو للنفوس المغلوبة على أمرها أنيس الأيام وسمير الليالي.

غير أن هذا المنطق إن جاز أن يفعل في أزمنة الضعف والعجز فإنه لا يجوز للإنسان اليوم بعد أن فك طلاسم الطبيعة وأمسك بقرون الظواهر.

يُفتتن بعض الناس بالخرافة لأنها مثيرة للدهشة زاخرة بالغرابة. ولهؤلاء نقول إن العلم يفوقها في هذا المضمار فتنة وإدهاشا ويزيد عليها بأن غرابات العلم حق، إن نظرة في تلسكوب أو مجهر لتلقي بالمرء في عوالم فاتنة بديعة ملونة أنعم من أهداب الحلم وأغرب من نسج الخيال. غير أنها حق. أطراف الكون القصية، تشكيلات الأنجم والمجرات، تلافيف

الدماغ ومسالكه ودروبه العالم تحت الذري، العالم الجيني، قصة التطور تقرؤها منقوشة في أحافير الصخور وأنوية الخلايا، أعاجيب لم يجد بمثلها خاطر ولم تتفتق بمثلها قريحة.

ويُفتتن البعض بالخرافة لأنها تدغدغ عواطف وتَبْعَثُ نَشَوات. ولهؤلاء نقول إن للعلم مقاماته وأحواله، وطربه ومواجده "الطريقة العلمية " مِلَّة حياتية لها أخلاقياتها بل روحانياتها، التطهر بالاختبار، الاعتراف بالخطأ، التبتل للحقيقة، الولاء الخالص لـ " الدليل" التنزه عن الغرض، إرجاء الحكم، الانفتاح على الأفكار، الانتشاء بالكشف، الابتهاج بالزمالة.[1]

تساهم الحكاية الشعبية في تثقيف الفرد لأنها تحمل إليه الحضارة من الأجيال السابقة، وثقافته بقسميتها المادي المتمثل في كيفية ملبسهم ومشربهم ومأكلهم وأعمالهم وغيرها، والمعنوي الذي يشمل معتقداتهم ونظمهم وأفكارهم وفنونهم، لذلك يمكننا القول بكل ثقة واطمئنان أن القصص الشعبية تعتبر مصدراً ثقافيا الأجيال المتتالية تحمل إليهم العمل والطموح وتعلمهم قهر المستحيل ، وتدربهم على التصور الواسع كما تحمل إليهم القواعد الاخلاقية والقيم والمثل العليا ترسخها في عقولهم، وهي تساعدهم بذلك على تطوير فعال في حالة انعدام الأجهزة التربوية والتعليمية المختلفة.

والملاحظة عند هذه الوظائف هي تداخلها فيما بينها فقد تكون رواية الحكاية في جانب من جوانبها وظيفة عقائدية عند فئة من الناس، وتمنح الآخرين المتعة والتسلية وقد تكون

[1] عادل مصطفى، مرجع سابق، ص –ص، 22-23

ذات وظيفة نفسية وفي جانب آخر ذات وظيفة تثقيفية وقد تؤدي جميع هذه الوظائف في نفس الوقت.[1]

ومنه نستنتج أن الحكاية الخرافية تعد نتاجًا ثقافيًا أصيلًا، تعبر عن الذاكرة الجمعية للمجتمع وتنقل عاداته وقيمه عبر الأجيال. فهي لم تكن مجرد وسيلة للتسلية، بل شكّلت أداة للتلاحم الاجتماعي، إذ كانت تجمع أفراد العائلة أو الحي حول الراوي، ناقلة إليهم الحكمة والمبادئ الأخلاقية في قالب مشوق. ورغم تعلق الإنسان بالخرافة لما تقدمه من سلوى وأمل في مواجهة قسوة الحياة، إلا أن العلم الحديث، بما يكشفه من غرائب حقيقية، قد تجاوز الخرافة في إثارة الدهشة وتفسير الظواهر بدقة عقلية ومنهجية. وتُسهم الحكايات الشعبية في تثقيف الفرد، إذ تقدم له المعرفة المادية والمعنوية المتوارثة عن الأجيال السابقة، وتنمي لديه الطموح والقدرة على تصور المستحيل. وتتميز وظائف الحكاية بتداخلها، فهي تجمع بين الإمتاع والتعليم والإشباع النفسي وأداء بعض الأدوار العقائدية، مما يجعلها مصدرًا ثقافيًا غنيًا ومتجددًا رغم التحولات العلمية والمعرفية الحديثة.

المطلب الثاني: البعد الديني والنفسي

أولا: البعد الديني

تمتلئ الحكاية الخرافية ببقايا معتقدات دينية، تعود إلى عقائد قديمة، قدم النفس البشرية كالعقيدة الشامانية والعقيدة الطوطمية، والعقيدة الفتيشية، ولعل من أبرز الموضوعات ذات

[1] بولرباح عثماني، **الحكاية الشعبية الجزائرية قراءة في الوظائف الدلالات**، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الأغواط، ص 73

الجذور الدينية موضوع التقطيع ويتفق هذا الاعتقاد مع التعاليم الشامانية –حيث يسترد الجسد الممزق الحياة من جديد، وموضوع التقمص ذي الجذور الطوطمية.[1]

وتتناول الحكاية الخرافية واقعا تهدر فيه النظم التربوية والأخلاقية، فتحاول معالجته بإظهار سلبياته والتحذير منها، فهي تؤدي دورا هاما في التعبير عن الجوانب غير السوية في المجتمع، وبذلك تعمل على خلق التوازن لها هي إذن ذات هدف تربوي قامت ومازالت تقوم به ألا وهو التهذيب، وذلك عن طريق التحذير والترهيب مما يعد أجدى من وسائل أخرى كالضرب والزجر اللذان يغرسان في نفس الطفل البغضاء والنفور بل وتعلمه وتنشئه على حب الأم واحترام الأب، وتقدير الأخوة وإيثارها. وصارت الحكاية الخرافية تقسم وفق أنماط الفئات العمرية وبحكايات مبنية على مضامين وأفكار عامة تنمي فيهم قيم الخير والسلام والعدل، ليتغير الخطاب في مرحلة النضج، فتتفرد كل فئة بخطابها الخاص ذكورا وإناثا.[2]

وقد استندت الخرافة إلى سلطان الدين لتكسب مشروعيتها، وتحظى بتأييد عامة الناس، وهي بذلك تعبر عن عجز الإنسان عن مواجهة ظروفه السياسية والاجتماعية والاقتصادية المؤثرة فيه، لذلك كان ملجأ الناس إلى الدين ليعبروا عن حاجاتهم النفسية.[3]

---

[1] سعيدي سامية، مرجع سابق، ص 56

[2] المرجع نفسه ص –ص، 75–76

[3] عبد الكريم طهير، **الخرافات شكل من أشكال الانحراف الاجتماعي ووسيلة للاستغلال السياسي في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط**، مجلة عصور، المجلد 19، العدد الثاني، ديسمبر 2020، ص–ص 172–173

كما أن للخرافة بعدا آخر ديني يكشف عن انحطاط المستوى العلمي للمجتمع، اتخذ رجال الدين مثل بعض الشيعة والصوفية منهج الخرافة للتثبيت الذات لهم، ففكرة البركة والاحتماء والسيد والكرامات المزعومة تتقاطع والمعجزات القديمة، مما تخلق شخصية كاريزمية تنتفي عندها شروط العلم ومدركات العقل، فتظهر في المجتمع نظرة تبجيلية للشخصيات.

وتتميز الخرافة عن الأشكال السردية الأخرى بغلبة الخوارق على نسيجها القصصي، التي تكيف طبيعة الشخصيات فيها، وتتحكم في سير أحداثها، إذ تفقد الحركة القصصية تطورها الطبيعي بعد أعمال غيبية كالجن والعفاريت والطلاسم، لتغير فجأة مسار الأحداث نحو اليسر أو العسر، بحسب طبيعة تلك القوى وغايتها.

وهي بذلك قد تعمل على تعطيل انتزاع الأزمة –بمعنييها القصصي والنفسي –، أو تعجل بحلها ربما قبل الأوان، لذلك كانت منذ القديم أداة تعليمية، مساعدة في تربية الأطفال.

ويرى بعض الدارسين أن للخرافة بعداً أساسياً في الحضارة، وإن توظيفها في تأهيل الأطفال وإعدادهم –لكي يكونوا عناصر فاعلة في إطار الجماعة التي ينتمون إليها –أمر لا يخفي على أحد.

خاصة تلك الخرافات التي تروى في نطاق الأسرة، والتي تتوجه أساساً إلى تربية الطفل، وتنمية خياله وقدراته، الذهنية والوجدانية، حين تقدم له نماذج من السلوك الإنساني، فتكون أداة للمعرفة في تشكل تصوراته عن الكون، والمحيط الاجتماعي الذي يحيا فيه، ورغم

هذا الدور التعليمي التربوي المنوط بالخرافة، فإن من الدارسين من يعترض على استخدامها في أدب الأطفال.[1]

وكخلاصة لما سبق، تعكس الحكاية الخرافية بقايا معتقدات دينية قديمة، وتتناول هذه الحكايات جوانب الخلل التربوي والأخلاقي في المجتمع، فتسعى لمعالجته عبر التحذير والترهيب، بهدف تهذيب النشء بوسائل نفسية أكثر فعالية من العقاب البدني. وتتنوع الحكايات وفق الفئات العمرية، حاملة مضامين تربوية تنمي قيم الخير والعدل، مع تغير الخطاب في مراحل النضج بين الذكور والإناث. كما تستند الخرافة إلى الدين لتكسب مشروعيتها، معبرة عن عجز الإنسان أمام الأوضاع السياسية والاجتماعية، مما يدفعه إلى الالتجاء للأسطورة الدينية. وتمتاز الخرافة بسيطرة العناصر الخارقة على نسيجها السردي، مما يغير مسار الأحداث فجأة وفق إرادة قوى غيبية. وبهذا تُعطل أحيانًا تطور الأزمة القصصية أو تسهم في حلها المبكر.

ثانيا: البعد النفسي

إن سرد الحكاية سماعا أو مشاهدة أو تمثيلا يترك جملة من التأثيرات الذهنية والنفسية فكريا ولغويا وإثراء أساليب الحوار تأثرا بلغة الشخوص ومحاولة التقليد والتقمص، وأخذ القيم والعبر الراقية (الشجاعة، الإقدام المغامرة، الحيطة والحذر والفطنة) تطويرا للتصورات الذهنية وتنمية القدرات العقلية ذكاء وإدراكا من خلال التساؤلات في النفس البشرية، فالحكاية متنفس

[1] هاني الكايد، **ميثولوجيا لخرافة والأسطورة في علم الاجتماع**، الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2010، ص 72

من الهموم والضغوطات النفسية والتحرر من السلطة الأنا والأنا الأعلى خاصة عند المواقف الطريقة للتسلية والمرح والتنفس عن طريق الأحلام البعث الثقة بالنفس والطمأنينة والتحدي وتقوية الشخصية داخل الأسرة أو خارجها، وتحمل في طياتها معاني تهذيبية ودروسا في الأخلاق تجسيدا للفضائل ونبذ الرذائل ونصرة الحق على الباطل وجعلها فيما اجتماعية راسخة في ذهن الطفل ترغيبا وترهيبا وهما أجدى تربويا من الضرب والزجر، ومنهجا في حل المشكلات المستعصية .[1]

في الحقيقة أن الخرافة تؤثر في المؤمنين بها عن طريق الإيحاء النفسي يصرف النظر عن التأثير الفعلي للخرافة في حد ذاتها فالشخص الذي يؤمن بالتشاؤم من اليوم، فبمجرد رؤيته لليوم يتشاءم لما يحدث له من تغيرات انفعالية. كما قد يقبل الفرد تأثير الخرافات من قبيل التقليد، عندما يجد أن المحيطين به يؤمنون بها، وكذلك نجد أن هنالك خرافة شائعة في مجتمعنا مؤداها أن القط له سبعة أرواح، والمتأمل في هذه الخرافة يجد مرجعها في الغالب إلى أن حركة القط تبلغ درجة كبيرة من المرونة، بحيث يستطيع التكيف سريعا مع الصدمات.

[1] فضيلة قيطوم، عمر جادي، **الحكاية الخرافية في الموروث الشعبي الجزائري**، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، المجلد 09، العدد 01، 2024، ص 223

ففي الجانب الثقافي تسهم الخرافة في المحافظة على العادات والتقاليد، فمحتوى القصة العراقية وارتباطها بجوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وموافقتها للعادات والتقاليد التي يمارسها مجتمع المنطقة.[1]

وتلبي هذه الحكايات التنفيس عن المكبوتات الجنسية والرغبات التي لا يمكن ممارستها في الواقع نظراً لكونها تتعارض مع قيم المجتمع، أو أنها تخرج عن نطاق حدود القدرة الذاتية المحدودة بالطبيعة البشرية بالزمان والمكان بحيث تجعله يقطع المسافات البعيدة في رمشة عين، وتجعله يكبر ويحقق أهدافه بسرعة خارقة للعادة، كما تجلعه يعود إلى الحياة بعد الموت، وتركبه البساط السحري الذي ويحقق له كل أحلامه : تصبح كل تلك العمليات مفهومه الأهداف، فهبوطه إلى أعماق الأرض يمثل استغراقه في اللاشعور ورجوعه منها يمثل عودته إلى الشعور والواقع، بالإضافة إلى أنها تحقق له الخير المطلق، وخلق عالم مثالي تزول منه كل العوائق التي تحد من تحقيق ذات الفرد، وهو بمقدار ما يحقق عن طريقها ذاته، وتواصله مع الآخرين ومشاركتهم في الأحاسيس والمشاعر وفي أسلوب التعبير عنها، ومن هنا فإن الفرد وهو يشارك في عملية القص يجد متعة وراحة نفسية.[2]

وعليه نقول إن سرد الحكاية سواء بالاستماع أو المشاهدة أو التمثيل، يؤدي دورًا مهمًا في تشكيل التصورات الذهنية، وتنمية القدرات اللغوية والعقلية لدى المتلقي عبر الحوار وتقليد الشخصيات، مما يغرس القيم العليا مثل الشجاعة والحذر والمغامرة. وتُعَدّ الحكاية متنفسًا

[1] محمد حمد خليص الحربي، **وادي القرى بين الحداثة والتاريخ الأساطير والخرافات التي دارت حول آثار الوادي وأثرها في تدمير وتخريب الآثار**، دراسات في آثار الوطن العربي، المجلد 13، العدد 01، ص 689

[2] بولرباح عثماني، مرجع سابق، ص 73

نفسيًا للتخفيف من الضغوط الداخلية، إذ تتيح للمتلقي التحرر من السلطة الذاتية عبر المرح والخيال، معززة بذلك الثقة بالنفس وتقوية الشخصية داخل الإطار الأسري والاجتماعي. كما تلعب الخرافة دورًا نفسيًا مؤثرًا من خلال الإيحاء، حيث يزداد تأثيرها بفعل الإيمان بها أو بفعل التقليد الجمعي، مما ينعكس على السلوك والانفعالات. وتسهم الحكاية الشعبية في الحفاظ على العادات والتقاليد عبر مضامينها المرتبطة بالواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع. علاوة على ذلك، تلبي الحكاية الرغبات المكبوتة التي يصعب تحقيقها واقعيًا، متجاوزة بذلك حدود الزمن والمكان من خلال شخصيات وأحداث خارقة. وتمثل هذه التجربة الخيالية وسيلة لاستكشاف اللاشعور والعودة إلى الوعي، مما يحقق للفرد توازنًا نفسيًا ويعزز تواصله العاطفي مع الآخرين عبر المشاركة الوجدانية في عملية القص.

الفصل الثاني:

دراسة تطبيقية حول الابعاد

الأنثروبولوجية للحكاية الخرافية

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول الابعاد الأنثروبولوجية للحكاية الخرافية

مدخل:

نلاحظ أن مجتمع لونجا مجتمع متذبذب وغير مستقر يغلب عليه طابع البداوة، يتمثل ذلك في "لونجا "وهي تأخذ الماء من البئر، وفي علاقاتها الودية بأخيها الصغير، بينما نلمح سيطرة النظام البترياكي "الأبوي" وجبروته وطغيانهِ، متمثلا في الأخ الأكبر الذي صمم على الزواج بأجمل فتاة في البلد حتى لو كانت أخته ويترتب الزواج منها عن انتهاك النظام الاجتماعي وتحطيم علاقات القرابة، وهي ما يميز مجتمعاً إنسانياً عن جماعات الحيوانات لأن الحيوانات لا يوجد لديها نظام قرابة ولهذا المجتمع الإنساني يتميز بوجود علاقات القرابة، غير أن اللافت للانتباه أن يطرأ هذا النظام على كل أفراد المجتمع، إذ كان الأب والأم والأخ كأنهم يساندون جبروت الذكر في ظلمه وانتهاكه للنظام، من هنا نلمح ثورة "لونجا" وهي الفتاة الضعيفة المضطهدة المغلوب عن أمرها، غير أن الطبيعة والقوة الغيبية تتجند لصالحها وهي تتمثل في الجبل وطلبها منه في الارتفاع، نظرا لأن الطبيعة تتوافق مع النظام الاجتماعي السوي وضد النظام المنحرف وهنا تظهر جلياً وظيفة الإساءة من طرف الأهل ضد الفتاة تتمثل قرار أخوها في الزواج منها، وتعتبر الدراسات الأنثروبولوجية "زواج المحارم" و "الزواج بالأباعد" قاعدتين لتفكير مجتمعي تهدفان إلى منع النتائج السيئة التي يمكن أن تترتب عن الزواج بذوي القربى من ناحية، ومن ناحية أخرى إلى سن قوانين التبادل والتواصل بين البشر: وإن القاعدة التي تمنع الزواج بالمحارم والقاعدة التي تفرض الزواج بالأباعد ،قاعدتان متماثلتان في جوهرهما، فهما معا قاعدتا تبادل : ذلك أنه إذا امتنع

المرء عن الزواج ببنته أو أخته فلأن جاره يمتنع عن مثل ذلك، وأن التبادل هذه الظاهرة الكلية، هو تقايض يشمل الطعام والأشياء المصنوعة والنساء1، وهذا الكلام ينطبق على هذه الحكاية وهو الحكم الباترياكي الذي يسود هذا المجتمع ومع ذلك تم تحقيق النظام السوي من قبل "لونجا" وذلك بهروبها والتقائها بالسلطان والزواج منه والعيش في الحياة الكريمة التي كانت تبحث عنها .

المبحث الأول: المستوى الاثنوغرافي في حكاية لونجا

نص حكاية لونجا: (ذكر مرجع الحكاية في التهميش في نهاية النص)

حَاجَاتِكُمْ يَا مَا جَاتُكُمْ، كَابِن بكري بنت سِمْحَة (جميلة) يَاسِرْ يسموهَا لُونحَهُ، مَرَّة رَاحْ حُوهَا لِلْبِيرُ يش يُورِدُ الماء، كي جبد الدلو جبد مُعَاهُ شَعَرَة طويلة يَاسِرُ، حَلَفْ كَانَ يَتزَوَّجُ مُولاة هَا الشَّعَرَة ولو كانت لونجة بنت أُمه، راح يقيس في ها الشعرة عن بَنْوَتْ لِبْلَادْ الكُلْ، حَتَّى جَتْ عَنْ شَعَرُ لُونجة أخته، قال لها نتزوجك ورَانِي حَالِفْ. قَالَتْ له كِيفَاْش تتزوجني يا أُوخَيِي؟ قَالَ لها رَانِي حَالِفْ كَانْ نتزوج مُولاَة الشعرة ولو كنت إنتِ يا بنت أمي ... تفاهموا عن العرس، وحَضَرُوا النَّاسُ الكُل، وجاء يوم مِرْوَاحْها (يوم قرانها) وبِدَنْ النَّسَوِينْ يِفَتْلُوهَا (يُمشطَن) في شعرها ويغنولها:

حن الحنان ومازال الفتول *** رُوحِي يَا لِيُنَيَّة يَعْطِيكَ بِالقُبُولُ

راحت لونجة وَصَتْ خُوها الصغير وقالت له: كِي يِوَلُوا يِفْتَلُولِي في شعري، اسرق المشط واطلع فوق القبة (السطح) وما تعطيه لحتى واحد كلاش للونجة بنت أُمك. خَذِي الطفل براي أُخْتَهُ وسرق المشط وطلع فوق القبة، قَالُوا له هات المشط يهديك ربِّ، قال لهم ما نعطيش لحتى واحد كلاش جت لونحة نعطيه لها، قالت لهم لونجة خلوني (اتركوني) نروحله نايا نجيب من عنده المشط ونجي (أرجع)، دارت لونحة إيديها في إيد خوها وهربت معاه للجبل.

راحت لها أختها وقالت لها: يا لونجة يا بنيت أمي، دَرْبِيلِي (أنزلي لي) سلف الدلال ونطلع (أصعد) معاك الروس الجبال، قالت لها: مين كنتِ أُوحَيْني، الدَرْبِيلك سَلَّفَ الدلال، وتَطْلَعُ مُعَاكَ الروس الجبال، وكي عدتي سليفني، اهبطي (انزلي) أطلع يا جبل أطلع جاتهَا أُمَّهَا وَقَالَت لها: يَا لُونجة يا بْنَيْتِي، دربيلي سلف الدلال ونطلع معاك لروس الجبال، قالت لها مينْ كُنْتِ أُمِّيمْتِي، انْدَرْبِيلَكَ سَلْفَ الدلال، وتطلع معاك لروس الجبال، وكي عُدتي اعميمتي (تصغير لكلمة عمتي)، اهبطي. أَطْلَعْ يَا جِبَل أطلع جاها اباها وقال لها: يا لونجة يا بْنَيْتِي، دربيلي سلف الدلال ونطلع معاك لروس الجبال. قَالَتْ له مين كنت أبي الدربيلك سلف الدلال وتطلع معاك الروس الجبال، وكبي عُدِتْ اعْمِيمي، اهبط. أطلع يا جبل أطلع. جاها خوها لي بش يتزوجها وقال لها: يا لونجة يا أُوخَيْتِي، دربيلي سلف الدلال ونطلع معاك لروس الجبال، قالت لها مين كُنت أُوخَيْي الدربيلك سلف الدلال، ونَطْلَعُ مُعَاكَ لروس الجبال، وكبي عدت ارْوُيجْلي (زوجي)، اهبط شُوكُة أطلع يا جبل أطلع أَيَّسُوا أَهَلُهَا مِنْهَا، وَهُرِبَتْ لونجة مع اخوها الصغير وشدوا الخلاء حتى عطش خوها الصغير مِشَوْا عن بير الخنفوسة (الخنفساء)

وبير البهيم (الحمار) وبير الضفدع ... حتى وُصْلَوْا لبير الغزال جاء بِشْ يَشْرَبْ منه، قالت له لونجة: ما تَشْرَبْشِي رَاكْ تِتْحَوَّل لغزال خَلَّى الطفل نَعْلِيه تحت البِير ورَاحْ يِتَبَّعْ في أخته .... قال لها يا أُخَيْتِي زاني نسيت نعلي حْذَا البير (قرب البير) تو نجيبهم ونجي راح اشرب من البير ورجع لها غزال ينط راحت هي واياه داخلين بلاد خارجين بلاد... حتى

وصلوا إلى بلاد شافْها السلطان، عِجْباته، طلب منها الزواج قبلت اتْزَوجَتْ لونجة من السلطان، وكان هو متزوج ياسر نساوين .....

جاء موسم الحج وقبل ما يروح السلطان للحج قال للونجة: هاذ الديار الكل افَتْحِيهَنْ، غير هاذْ الدار ما تقربيش منها، وراح السلطان للحج. نساوين السلطان كانِنْ غَايْرَاتْ ياسر من لونجة حبَّن يتخلصن منها ومن الغزَيْل اللي معاها راحن يِدَبْرَنْ عليها وقالولها حلي الدار وما تخافيش ما فيها حتى شيْ بَقنْ يِدَبْرَنْ عليها حتى صدقتهن راحت لونجة حلت الدار ودخلت لِقَتْ فيها ثعبان كبير شدها وما خلاهاش تخرج راحن النساوين بش يذْبحَن الغزيل بِدا العزيل ينادي في أخته ويقول: يا لونجة يا بنت أمي المَّاسْ اتْمِضَتْ (السكاكين حُدِدَتْ) والطناجر غَلَتْ (الماء فيها يغلي) الغزيل ولد أمك بش يذبحوه قالت له لونجة يا لِغْزيل يا ولد أمي، ولْدْ السلطان في بطني والثعبان مِتْوَسَدْنِي

جاء السلطان من الحج ولْقِى لونجة دخلت الدار، راح للدَّبَّار وقال له دبَّرْ عليّا، قال له الدَّبَّار روح أذبح جِمَل كبير قِدَام باب الدار وخلي دُوارْته البرَّة، تو يخرج الثعبان ويدخل فيها. دار الملك كيما قال له الدَّبَّار وخرج الثعبان ودخل لكرش البعير وخرجت لونجة وقتل الملك الثعبان وطلق نسَاوِينَه لُخْرَات وعاش مع لونجة في هناء خُرافِتْنا غابة غابة وفي كل عام تْجِينا صابة، صلوا على النبي وأصحابه"[1]

المطلب الأول: البعد البيئي

[1] ذكر المرجع

يظهر لنا البعد البيئي ويبرز لنا العلاقة بين الانسان والبيئة ويظهر ذلك في:

البئر: هو رمز للحياة والمعاناة للبيئة الصحراوية حيث أنه هو مصدر الحياة الوحيد، حيث يمثل الماء ضرورة للبقاء، لكن البئر يظهر معاناة المرأة التي تعيشها، حيث تضطر إلى جلب الماء من أعماق الأرض

الجبل: الجبل في القصة يشير إلى العديد من الرموز نذكر أهمها:

يشير إلى التحدي والصمود: الجبل في هذه القصة يرمز إلى العوائق والصعوبات التي تواجهها لونجا في حياتها سواء في بيئة قاسية أو كإنسانة تقاوم الفقر والقهر

يرتبط الجبل في القصة بمكان الهروب أو المواجهة. إنه فضاء خارجي يعاكس الحياة اليومية المقيدة داخل المجتمع، ويوفر سياقا لتحرر لونجا أو مأساة مصيرها.

الغزال: يرمز الغزال إلى الأنوثة والجمال. كما أنه يشير في القصة ككائن بري جميل يلاحق أو يحاصر في بعض السرديات الشعبية الغزال كائن مرغوب ومطارد، كما هو حال النساء في المجتمعات المحافظة.

وفي الأخير نستنتج أن لونجا ليست فقط سردا شعبيا بل هي مرآة عاكسة واقع المرأة السوفية من حيث المكانة والعمل.

كما نلاحظ غياب ذكر المكان وزمان لهذه القصة لأنها خرافة انتقلت من جيل إلى أخر وتغيرت حسب المنطقة وراوي.

المطلب الثاني: البعد الاجتماعي

تمثل في مكانة المرأة الجميلة في المجتمع التي مثلت بطلة الحكاية، فكانت لها مكانة اجتماعية مرموقة، يبدو من خلال الحكاية أن المرأة في المجتمع سوفي لها سلطة الحكم بينما غاب دور الأب في الحكاية وهذا يدل على أن مجتمع الحكاية مجتمع أموسي، وربما أبسط دليل ذكر الأم لأنها ذكرت أكثر من الأب.

كما لاحظنا في القصة أن لونجا تنتمي إلى طبقة فقيرة أو مهمشة.

كما نلاحظ سمة الجمال صفة راسخة يصعب ازالتها عن وجه المرأة في الحكاية الشعبية الخرافية ودليل على جمال لونجا الشعر الطويل سالف "الدلال "

المطلب الثالث: البعد الديني

يمثل البعد الديني في هذه القصة عنصرا مهما، ويظهر في عدة مظاهر، من أبرزها:

الصراع بين الخير والشر: ويظهر ذلك في الصراع بين لونجا "الفتاة البطلة الطاهرة والمسالمة " وقوى الشر التي تتجسد في المخلوقات أو الشخصيات العدوانية، مما يشير إلى الصراع الأبدي بين الحق والباطل، وهو المفاهيم الأساسية في معظم الديانات خاصة الإسلام

القدر والإيمان بالله: غالبا ما تتعرض البطلة في الحكاية للابتلاء والمصاعب، لكنها تبقى متمسكة بالأمل والإيمان بأن الفرج قادم، وهو انعكاس للقيم الاسلامية التي تدعو إلى الصبر والتوكل على الله في مواجهة المحن.

الرموز الدينية والشخصيات المقدسة: أحيانا يستعمل في الحكاية رموز دينية أو اشارات إلى الأولياء أو الكرامات، ما يشير إلى التصوف الشعبي وتأثيره في المتخيل الجمعي لسكان وادي سوف.

العفة والطهارة كقيم دينية: لونجا عادة ما تقدم شخصيته طاهرة نقية، رمز للفضيلة والحياء، وهي صفات تتطابق مع المعايير الأخلاقية والدينية للمرأة الصالحة في التصور الإسلامي

قصة لونجا تظهر أن المجتمع السوفي مجتمع محافظ، متدين يستمد معايير من الشريعة الإسلامية، حيث ترفض الأفعال المنافية للدين، وتحترم الفروض والوجبات الدينية كالحج، والطهارة والعفة، وتعدد الزوجات.

المبحث الثاني: تحليل أثنولوجي

تعريفه: ويدرس هدا المستوى حضارة الانسان وتميزها والطرائق التي يستجيب بها الانسان إلى هدا التمايز، والعناصر التي تشكل الحضارة والعوامل التي تعمل على انتشارها من مجتمع لآخر.

لاحظنا في هذه الحكاية ثقافة منفتحة على الثقافات الإنسانية الأخرى، فهذه الحكاية المدروسة تمثل ظاهرة ثقافية، عبرت في مراحل إنتاجها وتداولها على مجموعة من العلاقات الاجتماعية والوظائف المنوطة بها، وقد تركزت حول "الأنوثة" في تجلياتها المختلفة ،كموضوع قيمة وكمصدر لتجديد الحياة، وكنواة للأسرة، والوحدة الأساسية في المجتمع لذلك كله وقدمت الحكاية المرأة في تجليها الأنثوي المندمج في مظاهر الطبيعة منذ الموقف الافتتاحي للحكاية المروية، ثم أشعرتنا بوجود تضاد بين هذا الجوهر الأنثوي المنضوي في الكون الطبيعي والنظام الاجتماعي ذي الطبيعة الثقافية، الذي يمثل الهدف الأسمى الذي يسعى إليه مسار الحكاية ، ورغم وجود هذه الثقافة المنفتحة في الحكاية نجد الإيمان بالقوى الغيبية وما وراء الطبيعة بما في ذلك الإيمان بالأعمال السحرية المتمثلة في صعود الجبل بطلب من "لونجا

والآبار أيضاً التي مسخت أخها إلى غزال، فهنا الثقافة تبعاً لها نجد أنها تخضع المرأة "لونجا" ناهيك عن اضطهادها، أمرا ضرورياً يخدم سنة الاختلاف التي تؤسس لها الأسطورة تعزيز الاختلاف داخل النظام الثقافي الاجتماعي، ولذلك فإن إعادة تشكيل الطبيعة في هذه الحكاية تمثل في الثقافي وإعادة الصياغة لنظام اجتماعي جديد يتمحور حول الذكر، كذلك نجد في الصراع بين الخير والشر وحفظ النوع وحفظ الذات من قبل "لونجا ،"فالرغم من

طغيان الشر إلا ان الخير ينتصر في نهاية المطاف، كما نلمح مظاهر التكافل الاجتماعي، وهو مظهر ثقافي ومع ذلك لا نستطيع تصنيف حكاية "لونجا" ضمن الثقافة العربية الإسلامية لا دليل لانتمائها للثقافة العربية الإسلامية، رغم أنها تروى في مجتمعات عربية إسلامية مما يوحي إلينا بالنزعة الإنسانية العامة للحكاية خاصة وأنها تتناول مظهر الأنثروبولوجي المهم وهو النظام الاجتماعي وعلاقات القرابة، وهذا شيء إنساني عام وغير مختص بأي دين آخر.

المطلب الأول: السحر والنسخ

تجسد القصة مفهوما سحريا يتمثل في طلوع الجل "اطلع يا جبل أطلع" مما يعكس اعتقادا عميقا في قدرة القوى الغيبية.

أولا: السحر:

يوجد في القصة استخدام السحر كوسيلة لتسلية، بل يحمل دلالات اجتماعية، يظهر كيف يمكن لطقوس السحرية أن تعيد التوازن الاجتماعي كما في حالة إنقاذ لونجا من بطن الثعبان كما يبرز بين النوايا الطيبة والشريرة، وتأثير ذلك على مصير الشخصيات.

كما يعتبر السحر في القصة جزءا من الرؤية الكونية السحرية التي تفسر الظواهر الطبيعية والاجتماعية من خلال القوى الغيبية، كما تظهر القصة كيف أن المعتقدات السحرية تستخدم لفهم وتفسير الأحداث الغير مألوفة، وتساهم في تشكيل الهوية الثقافية للمجتمع.

ثانيا: المسخ:

تعريفه: ويعتبر المسخ هو أحد الظواهر التي نجدها طاغية على نصوص الحكاية الخرافية، باعتباره الوسيلة أو الأداة التي تمنح الحكاية جانبها الابداعي والاستشاري، من خلال تحويل صورة الشيء إلى صورة أخرى.

ويظهر المسخ في الحكاية في تحول أخو لونجا إلى غزال عندما شرب من بئر الغزال. وهو رمزا لعقوبة الهية أو سحرية تنزل بشخص نتيجة خطأ فادح أو ظلم.

أخو لونجا الذي تحول إلى غزال يمثل حالة المسخ نتيجة الحسد أو الخيانة في القصة، يكون الأخ قد ظلم أخته أو ساعد في الايقاع بها، فيعاقب بتحويله إلى غزال كنوع من العدالة الشعرية.

المطلب الثاني: الرواسب في الحكاية

وفي بعض الأحيان تكون القصة محملة بالرمزية، حيث يمثل الغزال البراءة التي فقدها، أو الضعف بعد الكبرياء.

1. رمزية الجبل في الثقافة اليهودية: الجبل يحمل رمزية دينية روحية عميقة يربط بعدة مفاهيم أساسية أبرزها:

اللقاء مع الله: الجبل يعتبر مكانا مقدسا يقترب الإنسان من السماء، وبالتالي من الله، أبرز مثال على ذلك جبل سيناء، حيث أعطى الله التوراة للنبي.

السمو الروحي: الجبل يرمز للارتقاء الروحي للكمال. تسلق الجبل يشبه رحلة الانسان في بحثه عن القرب من الله.

الثبات والقوة: يستعمل الجبل كرمز للقوة والثبات.

القداسة والاختيار: جبل هيكل "جبل موريا" في أورشليم هو المكان الذي بني عليه هيكل سليمان، وهو مركز العبادة في الديانة اليهودية.

2. الشعر الطويل: الشعر الطويل للمرأة لا ينظر إليه فقط كعلامة للجمال بل: يرمز إلى خصوبة، وعلامة على الأنوثة المكتملة كما أنه عنصر سحري يمكن أن يستعمل في الطقوس والتعاويذ.

3. رمزية المشط: تحمل رمزية المشط دلالات عميقة ومتعددة مستمدة من الثقافة الشعبية المحلية والرموز الأنثوية التقليدية ومن أبرز رمزية المشط في القصة:

* **رمز الأنوثة والهوية:** المشط هو أداة للزينة أنثوية، وهو يرمز إلى الجمال والأنوثة والنظافة، عندما تستخدم لونجا المشط أو تتركه وراءها فإنها تترك أثرا يدل على هويتها الأنثوية، مما يعزز حضورها حتى في غيابها الجسدي.

* **أداة الدفاع السحرية:** في القصة عندما تهرب لونجا من الكائن الوحش "الثعبان " ترمي وراءها أشياء من بينها المشط، الذي يتحول بفعل السحر عائقا. كما أن المشط هنا يعكس فكرة أن الأنوثة ليست ضعفا، بالمصدر قوة ماكرة ومبدعة.

* **رمز للانفصال والتحول:** رمي لونجا للمشط يمكن أن يفهم أيضا كقطع صلة بماضيها أو بعالمها السابق، كما يمثل المشط هنا لحظة انتقال أو عتبة بين مرحلتين: الطفولة والنضج، العجز والقدرة، الخوف والتحرر.

4. رمزية الثعبان: رمزية الثعبان في القصة لونجا تختلف بشكل عام، الثعبان يحمل دلالات مختلفة نذكر منها:

* **القوة الخارقة والسحر:** في العديد من القصص الشعبية والأساطير، يرمز للثعبان على أنه كائن مرتبط بالقوى الغامضة والسحرية. إذا فالثعبان غالبا ما يمثل كائنا خارقا يمكن أن يتحول أو يتحكم في مصير الشخصيات.

* **الخطر والخديعة:** يرمز الثعبان أحيانا إلى الخطر الكامن أو الخداع، وهو تمثيل للخوف من مجهول.

* **الحكمة والتحول:** في رمزية أخرى، وخاصة في التقاليد الإفريقية أو الأمازيغية، يرمز الثعبان إلى التحول أو التغيير، لأنه يغير جلده، ويجدد نفسه، مما قد يتوافق مع تحول لونجا أو رحلتها في القصة

5. رمزية لونجا: رمزيتها في القصة كما تروى في وادي سوف تتجاوز كونها مجرد شخصية بطولية، فهي تحمل دلالات دينية وروحية، خاصة عندما يربطها البعض بمفاهيم مثل التمجيد والتسبيح.

* **لونجا كرمز للخير والشر والنور الالهي:** ينظر إلى لونجا كرمز للبراءة والطهارة والخير تهرب من قوى الشر "كالعفريت أو الثعبان " وتواجهها بالدعاء أو الأدوات الرمزية مثل المشط والخاتم مما يعطى القصة طابعا دينيا عميقا، حيث يمثل الصراع بين الحق والباطل.

* **اسم لونجا وارتباطه بالتسبيح:** يرتبط اسم لونجا بالتمجيد والتسبيح لله كأنه تمثل الإنسان المؤمن أو الروح الصافية التي تذكر الله في وجه المحن.

* **لونجا كمثال للروح المجاهدة:** في هذا التأويل، لونجا كشخصية تسلك طريق الخلاص وتحرر من قوى الشر، مثل النفس والهوى، عبر التسبيح أو الذكر أو الدعاء، مما يجعل منها رمزا روحيا.

المبحث الثالث: المستوى الانثروبولوجي

تعريفه: ويعني دراسة علاقات الشعوب ببعضها البعض، ورؤية ما ادا كانت ثقافاتهم وعاداتهم مكتسبة أو منعزلة بحد ذاتها.

لاحظنا هذه الحكاية البداية من حافز الزواج بالمحارم كبداية لها ونقطة انطلاق، وهو الحد الفاصل بين المجتمع الحيواني والمجتمع الإنساني ذلك أن زواج المساعي الذي أرى بعض الأنثروبولوجيين أن الإنسان انتقل من الطبيعة حيث كان يشبه الحيوان إلى أن أصبح صانعا للثقافة وهذه الثقافة التي أنتجت في المستوى الاجتماعي علاقات القرابة التي لا تتم إلا بتحريم نكاح المحارم وقد كان للأنثروبولوجيين نظريات مختلفة من بين هذه النظريات نظرية كلود ليفستروس Strauss هذه النظرية تفسر تحريم نكاح المحارم انطلاقاً من راي مالين وفسكي الذي "يرى أن هذه الظاهرة موجودة بفضل انتقال الإنسان من الطبيعة إلى الثقافة لأن الحيوانات لا تعرف هذا التحريم" فتحريم مقياس للحياة الثقافية أي سبب التبادل أي تبادل النساء بين الجماعات البشرية والذي يعده ستروس أساسا للبناء الاجتماعي عن طريق المرأة التي هي أخت لواحد وزوجا لأخر ترتبط الجماعات القرابة المختلفة التي لولا هذا النسب ما كان لها مصالح مشتركة فتبادل النساء من جهة وتبادل الغذاء من جهة أخرى

يضمن الاندماج المتبادل بين الجماعات البشرية أو يجعل هذا الاندماج يبرز أكثر وفي هذه الحكاية تبدأ بانتهاك هذا التحريم وهو ما يقوض نظام الأسرة برمته وعلاقاته القرابة، وفي هذه الحكاية تأخذ البطلة منذ البداية موقفاً عدائياً من أخيها وأبيها وأمها، وتعتبرهم جميعاً متورطين في قضية الزواج الذي كان سيفرض عليها، وهي تلجأ للزواج الاغترابي كحل ضروري للهروب من زواج المحارم، ويكون هذا النوع من الزواج أبوياً حسبما تبين الحكاية وفي هذا الحوار الذي دار بين البنت "لونجا" وأمها وأبيها وأخيها الذي يقوض الأسس القرابة التي بنيت عليها وهي علاقات النسب "الأخت، الأم والأب والأخ " إلى علاقات مصاهرة "زوج.

تمثل الحكاية الشعبية لونجا كما تروي في المنطقة سوفية، وثيقة ثقافية غنية تعكس تصور المجتمع المحلي للعالم بما فيه من قيم وأخلاق ومعتقدات ومخاوف، وعند النظر اليها من زاوية أنثروبولوجية، يمكن تقسيم رموزها ووظائفها إلى ثلاث محاور كبرى:

المطلب الأول: حفظ الذات

يتجلى هاجس حفظ الذات في قصة لونجا من خلال الرموز المتعددة:

1. البيت: في الحكاية يمثل الحاضن الأول للهوية والطفولة والبراءة عندما تغادر لونجا بيتها، فإنها تدخل في صراع مع القوى الخارقة "الثعبان"، في تعبير رمزي عن فقدان الحماية والدخول في عالم التجربة والمخاطر.

2. المـاء: عنصـر متكـرر فـي القصـة، ويمثـل الحيـاة والنجـاة والخصـب. وغالبـا مـا يكـون الحـاجز الأخيـر بين لونجـا والمـوت، أو وسيلة تحـول تمكنهـا مـن النجـاة مـن مطاردهـا، ممـا يعكس أهمية الماء في البيئة الصحراوية كمصدر بقاء مادي وروحي.

3. ذبيحـة الجمـل: قد تظهر بعض الروايات كقربان أو كعلامـة عبور اجتمـاعي. الجمـل، باعتبـاره رمـز القوة والتحمـل، يمثـل الـذكر المحـوري فـي المجتمـع الصـحراوي، وذبحـه يـرتبط بطقوس الفداء أو ارضـاء قـوى غيبيـة، وهـو مـا يعكـس البيئـة الطقسـية المتجـذرة فـي الـوعي الجمعي

المطلب الثاني: حفظ النوع

قصـة لونجـا لا تكتفـي برحلـة النجـاة الفرديـة بـل تتوسـع لـتلامس هـاجس المجتمـع فـي استمرار النوع وبقاء الجماعة من حيث:

زواج لونجا من السلطان: هو تتويج لنضجها وتحولها من طفلة مطاردة إلى امرأة قادرة على الاستقرار وإنجاب الأبناء، مما يرمز إلى اكتمال دورة الحياة وتحقيق الاستمرارية.

تعدد زوجـات السـلطان: يفتح نافذة لفهم النظـام الأبوي السائد، حيث ينظـر للمرأة من زاويـة وظيفيـة فـي سياق حفظ النسل والسلطة. إلا أن لونجـا غالبا مـا تقدم كالزوجـة المفضـلة أو الذكية، ممـا يعكس اعجاب المجتمـع بمن تجمـع بين الجمال والذكاء والقدرة علـى مقاومـة الشر.

المطلب الثالث: المقدس

من أبرز ما يميز القصة حضور واضح للمقدس في صورة متنوعة، ما بين السحر والدين الشعبي، الإيمان بقوة السحر وتأثير عناصر الطبيعة "المشط، الماء، الجبال" يبرز المعتقدات المترسخة في الوعي الجمعي حيث تتداخل الأسطورة مع التجربة اليومية.

تتحول هذه العناصر إلى أدوات خلاص، مما يمنحها طابعا شبه مقدس.

كما يظهر الدين الشعبي بشكل خاص في اللجوء الى الحج أو ذكر الأماكن المقدسة، التي تستدعي كوسائل حماية وتحصين، تعكس تدينا بسيطا غير مؤسسي قائما على البركة والدعاء والعلاقة الشخصية مع القوى الغيبية.

نستنتج مما سبق أن قصة لونجا ليست مجرد سرد حكائي مسل، بل هي مرآة ثقافية تعكس البنية العميقة للمجتمع السوفي. ففيها تتجلى رموز النجاة والبقاء، وتتقاطع الوظائف الاجتماعية والدينية في شبكة معقدة من المعاني. يمكننا فهم كيف يعيد المجتمع انتاج تصوراته عن العالم، ويعالج قضاياه الكبرى. من الخوف والهوية إلى الزواج والمقدس، من خلال الحكاية الخرافية.

خاتمـــــة

خاتمـــة

من خلال هذه الدراسة نستنتج ما يلي:

1ـ ظهور الكثير من الموتيفات الواردة في الحكاية الخرافية، تنطوي على أبعاد أسطورية معروفة في القدم، فلم يأت تشبيه المرأة بالقمر أو الغزال جزافا، وفي هذا دليل على ارثنا العريق الذي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ.

2. يتضح لنا أن حكاية لونجا ليست مجرد خرافة تروى للتسلية بل هي مرآة تعكس البنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الذي نشأت فيه.

3. الابعاد الأنثروبولوجية للحكاية تكشف عن قيم الجماعة، ونظرتها للخير والشر، ومكانة المرأة ودور الأبطال الرمزيين في مقاومة الظلم وتحقيق العدالة.

4. تبرز الأبعاد الأنثروبولوجية للحكاية كيف توظف الأسطورة كأدوات لفهم الذات والآخر، وتنظيم العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وبين الفرد والمجتمع.

5. تسلط الحكاية الضوء على الأساطير والرموز الشعبية التي تستخدم لإيصال الرسائل أخلاقية وتربوية عميقة، مما جعل لونجا مادة غية للدراسة والتحليل.

قائمة المراجع والمصادر

قائمة المراجع والمصادر

أولا المعاجم:

1. ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق على عبد الله الكبير ومجموعة من الأساتذة، دار المعارف القاهرة، 1919، مادة حكى.
2. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، الجزء الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سنة 1979م.
3. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، اشراف شوقي ضيف مكتبة الشروق الولية، مصر، 4، 2004، مادة حكى.

ثانيا الكتب:

1. إبراهيم بدران، سلوى الخماش، **دراسات في العقلية العربية الخرافة**، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، ط 3، 1988.
2. ايكه هولترانكس، **قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور**، ترجمة: الجوهري حسن الشامي ط1، دار المعارف، مصر 1972،
3. بدرية بنت جار الله الشمري، **موقف علماء الانثروبولوجيا من الإسلام**، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المينا، مصر، دع، دس.
4. حسين عبد الحميد احمد رشوان، **الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
5. الرازي، **مختار الصحاح**، أعده للنشر محمد ثامر دار مكتبة الهلال، بيروت، دط، دت،
6. روبرت إيه سيجال، **الخرافة**، تر: محمد سعيد طنطاوي، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.
7. سعيدي محمد، **الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.
8. عادل مصطفى، **الحنين إلى الخرافة**، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2018.
9. عبد الحميد بورايو، **القصص الشعبي في منطقة بسكرة** –دراسة ميدانية –المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

10. عيسوي عبد الرحمن، **سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي**، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1983م.

11. مارك أوجيه، جان بول كولاين، **الانثروبولوجيا**، ترجمة جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2008،

12. محمد الجوهري وآخرون، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج**، دار المعرفة الاجتماعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2004.

13. محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**، دار المعرفة القاهرة، 2007،

14. نبيلة إبراهيم، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، دل، دت،

15. هاني الكايد، **ميثولوجيا لخرافة والأسطورة في علم الاجتماع**، الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2010.

ثالثا مجلات:

1. بولرباح عثماني، **الحكاية الشعبية الجزائرية قراءة في الوظائف الدلالات**، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الأغواط،

2. عبد الكريم طهير، **الخرافات شكل من أشكال الانحراف الاجتماعي ووسيلة للاستغلال السياسي في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط**، مجلة عصور، المجلد 19، العدد الثاني، ديسمبر 2020.

3. فريحات رانية، **الخرافة والشعوذة بين الإسلام والمجتمع**، مقال منشور مجلة هدى الإسلام، مج: 48، الع 04، سنة 2004.

4. فضيلة قيطوم، عمر جادي، **الحكاية الخرافية في الموروث الشعبي الجزائري**، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، المجلد 09، العدد 01، 2024.

5. محمد حمد خليص الحربي، **وادي القرى بين الحداثة والتاريخ الأساطير والخرافات التي دارت حول آثار الوادي وأثرها في تدمير وتخريب الآثار**، دراسات في آثار الوطن العربي، المجلد 13، العدد 01.

رابعا مطبوعات بيداغوجية

1. سهام بودروعة، **محاضرات في التحليل الأدبي الأنثروبولوجي**، مطبوعة بيداغوجية، موجهة لطلبة سنة ثانية ماستر، دراسات أدبية، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2019/2018،
2. كريمة شعبان، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، مطبوعة بيداغوجية، سنة ثانية اتصال، جامعة الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، 2019.

خامسا مذكرات

1. سعيدي سامية، **الحكاية الخرافية في ضل المنهج البنيوي**، أطروحة دكتوراه، جامعة أم بواقي، 2019، ص 74
2. علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية**، رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر،2009.
3. محمد بوذينة، **الحكاية الخرافية في منطقة وادي سوف مقاربة سيميائية**، مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة، 2014.

سادسا روابط

1. أحمد إبراهيم خضر، **علم الأنثروبولوجيا ماهيته والانتقادات الموجهة إليه**، شبكة الألوكة http://www.alukah.net/web/khedr

2. عائض بن سعد الدوسري، **الهَشَاشَةُ النَّفْسِيَّة وصُنَّاع الخُرَافَة**، https://atharah.net/psychological-fragility-and-myth-makers/، 2024/04/25، 18:00

فهرس المحتويات

مقدمـــــة ..... أ

مدخـــل..... 5

الفصل الأول: علاقة الخرافة بالأنثروبولوجيا..... 11

المبحث الأول: مفهوم الحكاية الخرافية والانثروبولوجيا..... 11

المطلب الأول: تعريف الحكاية الخرافية لغة واصطلاحا..... 12

المطلب الثاني: تعريف الأنثروبولوجيا 17

المبحث الثاني: الحكاية الخرافية والابعاد الأنثروبولوجية 22

المطلب الأول: البعد الاجتماعي والثقافي..... 23

المطلب الثاني: البعد الديني والنفسي..... 32

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول الابعاد الأنثروبولوجية للحكاية الخرافية 40

المبحث الأول: المستوى الاثنوغرافي..... 42

المطلب الأول: البعد البيئي..... 44

المطلب الثاني: البعد الاجتماعي..... 46

المطلب الثالث: البعد الديني..... 46

المبحث الثاني: تحليل أثنولوجي..... 47

المطلب الأول: السحر والنسخ 50

المطلب الثاني: الرواسب في القصة..... 51

المبحث الثالث: المستوى الانثروبولوجي..... 55

المطلب الأول: حفظ الذات 56

المطلب الثاني: حفظ النوع.....57

المطلب الثالث: المقدس 58

خاتمـــــة.....61

قائمة المراجع والمصادر.....63

الملخص:

موضوع المذكرة عبارة عن دراسة للأبعاد الأنثروبولوجية للحكاية الخرافية، اعتمدنا خلالها على المفاهيم الأساسية لكل من الحكاية الخرافية والأنثروبولوجيا، وأبرزنا الأبعاد الأنثروبولوجية للحكاية الخرافية وقمنا بدراسة تطبيقية على الحكاية الخرافية "لونجة في منطقة سوف" اعتمادا على ما تناولناه في النظري.

وقد قسمنا بحثنا لقسمين: الأول نظري أردنا فيه المفاهيم الأساسية الحكاية الخرافية والأنثروبولوجيا، والقسم الثاني تطبيقي حللنا فيه الحكاية الخرافة "لونجة" برواية أهل منطقة سوف

الكلمات المفتاحية: الحكاية الخرافية، الأنثروبولوجيا، الأبعاد، لونجة

Abstract

The subject of this dissertation is a study of the anthropological dimensions of the folktale. In conducting this research, we relied on the fundamental concepts of both the folktale and anthropology. We highlighted the anthropological aspects inherent in the folktale and carried out an applied analysis of the tale *Loundja* as narrated in the Souf region, based on the theoretical foundations discussed.

Our research is divided into two main parts: the first is theoretical, in which we explore the key concepts related to the folktale and anthropology; the second is practical, wherein we analyze the tale of *Loundja* as recounted by the inhabitants of the Souf region.

Keywords: folktale, anthropology, dimensions, Loundja.